جيل التمكين

إعداد
أم هشام بنت طنطاوي أحمد

الفتح الرباني
للنشر والتوزيع

أمة مرحومة

بسم اللَّه ولا حول ولا قوة إلا باللَّه

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران].

سبحان من قدمنا على جميع الناس، وسقانا من معرفته أروى كأس، و جعل نبينا أفضل نبي رعى وساس.

فلما فضَّله على الأمة و أنعم علينا بعلو الهمة قال لنا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران]، وصلى اللَّه على نبينا محمد وآله و سلم.

إخوتاه، أزف إليكم باقات من أحاديث النبي ﷺ والتي تبين فضل هذه الأمة:

من حديث جابر رضي الله عنه أقدم هذا الحديث لرسول اللَّه ﷺ: «**ما من رجل من الأمم إلا ودَّ أنه منا أيتها الأمة، ما من نبي كذبه قومه إلا ونحن شهداؤه يوم القيامة أن قد بلغ رسالة اللَّه ونصح لهم**»[1].

(١) قال الحافظ في الفتح ٨/ ٢١٨ أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد عن أبي العالية عن أبي بن كعب.

وقال ﷺ: «أنتم شهداء اللَّه في الأرض والملائكة شهداء اللَّه في السماء»[١].

وقال ﷺ: «إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على اللَّه»[٢].

وقال ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره»[٣].

وقال ﷺ: «أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة إنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا»[٤].

وقال ﷺ: «إن اللَّه تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[٥].

وقال ﷺ: «منا الذي يصلي عيسى ابن مريم خلفه»[٦].

وقال ﷺ: «ما من أمة إلا وبعضها في النار وبعضها في الجنة إلا أمتي فإنها كلها في الجنة»[٧].

---

(١) رواه الطبراني عن سلمة بن الأكوع وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٤٩٠.
(٢) حسنه الألباني في صحيح الجامع ٢٣٠١.
(٣) رواه أحمد والترمذي عن أنس وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٨٥٤.
(٤) صحيح الجامع ١٣٩٦.
(٥) صححه الألباني في صحيح الجامع ١٨٧٤.
(٦) صححه الألباني في صحيح الجامع ٥٩٢٠.
(٧) صححه الألباني في صحيح الجامع ٥٦٩٣.

وقال ﷺ: «**أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة و أربعون من سائر الأمم**»(١).

إخوة الإسلام، هل عرفتم قيمة هذه الأمة؟ هذا بعض فضائل الأمة المحمدية.

ونحن نقول: ما استلت السيوف ولا زحفت الزحوف ولا أقيمت الصفوف إلا لإعلاء شعار هذه الأمة «لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه واللَّه أكبر».

ونقول ما قاله الأنصار يوم الخندق:

نحن الذين بايعوا محمدا
على الجهاد ما حيينا أبدا

وصدق ﷺ: «**اللَّهم لا عيش إلا عيش الآخرة**».

فيا أمة الإسلام: جددوا البيعة والعهد مع اللَّه ومع رسول اللَّه ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، هذه هي البيعة مع اللَّه، أيضا جددوا البيعة مع رسول اللَّه ﷺ

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع٢٥٢٦.

على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى أن تقولوا في اللَّه لا تأخذكم فيه لومة لائم.

فيا إخوة الإسلام: قولوا قولة أسعد بن زرارة الأنصاري في بيعة العقبة الثانية: إن هذه المبايعة تعني قتل خياركم وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على السيوف إذا مستكم وعلى قتل خياركم وأجركم على اللَّه.

إخوة الإسلام، أعلنوها كما أعلنها سعد بن معاذ في يوم بدر: فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول اللَّه لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبرٌ في الحرب صدقٌ في اللقاء ولعل اللَّه يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة اللَّه.

إخوتاه، أين أنتم من المقداد بن عمرو الكندي؟! قولوا قولته وافعلوا فعله! قال المقداد: واللَّه يا رسول اللَّه لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك.

وهذا هو البراء بن معرور رضي الله عنه يقول: فنحن واللَّه أبناء الحروب وأهل الحلقة - يعني السلاح - ورثناها كابر عن كابر.

وانظروا إلى هذه المداخلة من أبو الهيثم بن التيهان رضي الله عنه يقول: يا رسول اللَّه إن بيننا وبين القوم حبالًا وإنا قاطعوها - اليهود- فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك اللَّه أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول اللَّه ﷺ وقال: «**بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم**».

إخوة الإسلام، ألا ترضون أن يذهب أصحاب الدنيا بدنياهم وترجعوا برسول اللَّه ﷺ إلى الجنة. . .؟!

إخوتاه، ما ظنكم بأمة رسولها محمد بن عبد اللَّه ﷺ؟ ما بالكم بأمة فيها عليّ وأبي بكر الصديق يقاتل مع أحدهما جبريل عليه السلام ويقاتل مع الآخر ميكائيل عليه السلام في يوم بدر؟! فعن أبي صالح الحنفي عن علي رضي الله عنه قال ﷺ: «**مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال** أو قال **يشهد الصف**»[1].

ما بالكم بأمة تقول: فيا خيل اللَّه اركبي ويا راية اللَّه ارتفعي ويا حملة هذه الراية قوموا وانهضوا وموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ.

ما بالكم بأمة فيها الصديق يعلنها للَّه: أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي حتى أريح

(١) رواه أحمد والحاكم وهو صحيح على شرط مسلم.

عليه حقه إن شاء اللَّه، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء اللَّه، لا يدع قوم الجهاد في سبيل اللَّه إلا ضربهم اللَّه بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمَّهم اللَّه بالبلاء، أطيعوني ما أطعت اللَّه ورسوله فإذا عصيت اللَّه ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم اللَّه.

فأقول: يا ليت حكام المسلمين يعلمون.

ما بالكم بأمة فيها صدِّيقها يقول: واللَّه لو لم تخرج هذه اللقمة إلا مع نفسي لأخرجتها.. لقمة واحدة جاءه بها غلام من كهانة الجاهلية! يقول لغلامه: إنك كدت أن تهلكني... لقمة واحدة يا أبا بكر!! ماذا تقول يا أبا بكر لو سمعت أخبارنا؟! صرنا وصاروا كغنم بلا راع!! وصارت الدنيا على أهلها أضيق من خاتم!!

هذا هو صدِّيق الأمة يقول: واللَّه لا أحل عقدة عقدها رسول اللَّه ﷺ ولو أن الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين... هكذا كان حاله رضي الله عنه في حروب الردة.

إنه أبو بكر رضي الله عنه، يركب أسامة بن زيد وأبو بكر يمشي، فيقول أسامة: يا خليفة رسول اللَّه واللَّه لتركبن أو لأنزلن، فقال: واللَّه لا تنزل ووالله لا أركب وما علي أن أغبر قدمي في سبيل اللَّه ساعة؟! فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له وترفع عنه سبعمائة خطيئة.

كيف تهزم أمة فيها هذه الوصايا العشر؟

يقول أبو بكر ﷺ: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له.

يا لها من أمة لو أن لها رجال كأمثال أبي بكر ﷺ.

إنها رحمة الإسلام حتى بالكفار والمشركين في الحروب، ونتساءل هنا من هم أهل الإرهاب والعنف؟!

كيف تهزم هذه الأمة؟!! شعارها الرحمة حتى في الحروب..

وانظر إلى عمر ﷺ لما قال لأبي بكر كيف تقاتل أهل الردة وقد قال رسول اللَّه ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللَّه، فمن قال لا إله إلا اللَّه فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقها وحسابه على اللَّه»، قال أبو بكر: واللَّه لو منعوني عناقا - وفي رواية عقالا - كانوا يؤدونه إلى رسول اللَّه ﷺ لأقاتلنهم على منعها، إن الزكاة حق المال واللَّه لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فقال عمر ﷺ: يا خليفة رسول اللَّه تألف الناس وارفق بهم، فأجابه أبو بكر: رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك أجبار في الجاهلية وخوار

في الإسلام؟! إنه قد انقطع الوحي وتم الدين أو ينقص وأنا حي؟ أليس قد قال رسول اللَّه ﷺ: إلا بحقها؟ ومن حقها إقام الصلاة وإيتاء الزكاة واللَّه لو خذلني الناس كلهم لجاهدتهم بنفسي.

وجاهد أبو بكر ﷺ بجيوش المسلمين الفرس والروم وتم الفتح والنصر والقضاء على المرتدين بإذن اللَّه تعالى.

فمن لجهاد المرتدين اليوم؟!.

ومن لجهاد الفرس والروم؟!.

ومن لجهاد مسيلمة كذاب اليوم؟!.

كيف تهزم أمة فيها مثل عثمان بن عفان؟.

لما أراد أن يستخلف أبو بكر ﷺ رجلًا من بعده وقد شعر بدنو أجله قال لعثمان اكتب:

«بسم اللَّه الرحمن الرحيم هذا عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجًا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلًا فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب إني استخلفت عليكم. . .» ثم غشي عليه، فكتب عثمان «إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب» فلما أفاق أبو بكر قال: اقرأ عليّ فقرأ عليه، فكبر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن افتلتت نفسي في غشيتي؟ قال: نعم، قال: جزاك اللَّه خيرًا عن الإسلام وأهله.

إي نعم واللَّه جزاه اللَّه خيرًا.

لاحظوا إخوتاه: قوله ابن أبي قحافة ما قال أمير المؤمنين، ثم إن عثمان ما انتهزها فرصة وكتب اسمه هو! لا.. إنها أمة كانت تريد اللَّه والدار الآخرة.

* * *

صدق وعدل

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال: انظروا ماذا زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي فنظرنا فإذا عبد نوبي كان يحمل صبيانه و ناضح - بعير- كان يسقي بستانًا له فبعثنا بهما إلى عمر، فبكى عمر وقال: رحمة اللَّه على أبي بكر لقد أتعب من بعده تعبًا شديدًا!

وأقول: رحمك اللَّه يا أبا بكر، أين أموالك التي في بنوك الفرس والروم؟ أين قصورك؟ أين بساتينك؟ أين سياراتك؟ أين ذهبك ومجوهراتك؟ أين عبيدك وخدمك؟

أقول: إنها الأمانة ونعوذ باللَّه من الخيانة فإنها بئست البطانة.

وانظروا إلى هذا الصديق وهو يقول: يا عائشة، إنه ليس أحد من أهلي أحب إلي منك وقد كنت نحلتك حائطًا وإن في نفسي منه شيئًا فرديه إلى الميراث. انظر إلى محاسبة النفس والورع وخشية اللَّه تعالى ومراجعة الأمور مرارا وتكرارا.

واسمع إليه رضي الله عنه: «أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارا ولا درهما ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ولبسنا من خيش ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فيء المسلمين قليل

ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي وهذا البعير الناضح وجرد هذه القطيفة فإذا مت فابعثي بهن إلى عمر وابرئي منهن . . » .

أقول: كيف أطبق هذا الدرس على نفسي وأهلي لابد من فهم هذا جيدا .

رحمك اللَّه يا أبا بكر لقد أحب أن لا يدع لأحد بعده مقالًا .

أقول: من هنا يأتي النصر والتمكين والولاية، من هنا تقذف المهابة في قلوب أعدائنا . . يا ليت قومي يعلمون .

رضي اللَّه عنك يا صديق الأمة وحشرنا اللَّه في زمرة نبينا ﷺ ومعك وصحابة رسول اللَّه ﷺ .

وهذا هو فاروق الأمة رضي الله عنه الذي يهرول في فترة الظهيرة الحارقة وراء بعير من أموال الصدقة يخشى عليه الضياع وهو الذي ينحني فوق قدر ليطبخ فيه طعمة طيبة لامرأة غريبة أوركها كرب المخاض وهو الذي يطعم الأطفال الذين يتضورون جوعا في ظلام الليل الدامس .

هذا هو عمر الذي زلزل عروش الظالمين ودك قلاع الأكاسرة والقياصرة وخضعت لعدالته الجبابرة والأباطرة وهوت على يديه عناكب الظلم المؤلمة، إنه الرجل الذي أعزه اللَّه بالإسلام وأعز الإسلام به رضي الله عنه عمر الذي قال في هجرته : من أراد أن تثكله أمه ويوتم ولده ويرمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي، هجرة غير عادية، هجرة في وضح النار وكأنه النهار يخترق حجب الظلام

في عقولهم.

عمر رضي الله عنه الذي قال فيه ﷺ: «**إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر**»[١]. تفر منه لأنه مسلم على الحق وبالحق يعمل فالحق له قوة يتقوى به صاحبه.

أين في يومنا هذا الرجل الذي تفر منه شياطين الإنس والجن؟ أين هذا عبد اللَّه؟؟ أين هذا القوي الأمين؟؟

إنه عمر رضي الله عنه الذي قال: كنت بين يدي رسول اللَّه ﷺ سيفًا مسلولًا حتى يغمدني أو يدعني فأمضي! ثم كان أبو بكر رضي الله عنه فكنت خادمه وعونه أخلط شدتي بلينه فأكون سيفًا مسلولًا حتى يغمدني أو يدعني فأمضي.

«ثم أني قد وليت أموركم أيها الناس، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، فأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحدا يظلم أحدا أو يتعدي عليه حتى أضع خده على الأرض وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن للحق وإني بعد شدتي تلك أضع خدي على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف".

فأقول: أيها المسلم كن دعما للمقبلين والمشمرين فإنهم قد

---

(١) صحيح الجامع٢٤٩٦.

تسلموا الرسالة للزحف على شياطين الإنس والجن قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد]، فيا عبد أحضر قلبك فإن احتاج الأمر إلى بأس وقوة فكن كذلك وإن احتاج الأمر إلى لين ورحمة فكن كذلك فأنت ما بين الكر والفر الكر من الشيطان وحزبه الكر من الهزيمة الكر من الضعف والهوان للفر إلى اللَّه وشرعه وكل هذا من وسائل النصر في معركة الحياة الكبرى، فمرَّ يا عبد اللَّه على أرض المعركة مرور الفوارس الشجعان. . . لا مرور الجبناء الضعفاء!!

«ولكم عليّ أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها:

لكم علي أن لا أجتبي شيئًا من خراجكم ولا مما أفاء اللَّه عليكم إلا من وجهه، ولكم علي إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه ولكم عليّ أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء اللَّه تعالى، وأسد ثغوركم ولكم علي ألا ألقيكم في المهالك ولا أجمركم في ثغوركم وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم فاقوا اللَّه عباد اللَّه! وأعينوني على أنفسكم بكفها عني وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولاني اللَّه من أمركم».

هذا هو الراعي، القائد، ولي الأمر، أمير المؤمنين، الخليفة الراشد، الرجل المسئول الحكيم الأمين، هؤلاء هم سلفنا وتاج رؤوسنا وعزة نفوسنا.

ونلاحظ أن عمر رضي الله عنه يتخذ بطانة صالحة تعينه على الحق، يتخذ عليا قاضيا ويقول له: أعوذ باللَّه أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن، ويتخذ حذيفة بن اليمان ليدله على المنافقين، ويتخذ بن عباس حبر الأمة في التفسير، والسؤال: من هم البطانة اليوم؟؟

فتجد أن عمر رضي الله عنه يجعل حوله صمام أمان فإن زلت قدمه وجد من يعينه . . . ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وعن أبي فراس قال: خطب عمر رضي الله عنه فقال: «أيها الناس ألا إنا إنما كنا نعرفكم إذ بين ظهرينا النبي ﷺ وإذ ينزل الوحي وإذ ينبئنا اللَّه من أخباركم، ألا وإن النبي ﷺ قد انطلق وقد انقطع الوحي وإنما نعرفكم بما نقول لكم، من أظهر منكم خيرا ظننا به خيرا وأحببناه عليه ومن أظهر منكم لنا شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه، سرائركم بينكم وبين ربكم، ألا إنه قد أتى عليَّ حين وأنا أحسب أن من قرأ القرآن يريد اللَّه وما عنده فقد خيل إليَّ بآخره أن رجالًا قد قرؤوه يريدون به ما عند الناس فأريدوا اللَّه بقراءتكم وأريدوه بأعمالكم ألا إني واللَّه ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إليّ فوالذي نفسي بيده لأقصنه منه، فوثب عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين أرأيت

إن كان رجل من المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته أئنك لمقتصه منه؟ قال: إي والذي نفس عمر بيده، وقد رأيت رسول اللَّه يقص من نفسه، ألا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجمروهم فتفتنوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوا الفياض فتضيعوهم»[1].

أقول: من حكمة القيادة تأتي الريادة، ريادة الأمم بإذن اللَّه إنهم الرجال الذين رباهم رسول اللَّه ﷺ.

انظر إليه واسمعه وهو يبحث عن بكرين من إبل صدقة تخلفا في يوم صائف شديد الحر، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر فيراه عثمان رضي الله عنه معتما بردائه فيقول: يا أمير المؤمنين هلم إلى الماء والظل ونكفيك! فيقول له عمر: عد إلى ظلك يا عثمان..!

وانظر إلى ورعه عندما دخل السوق فوجد إبلا سمانا فسأل لمن هذه الإبل؟ قالوا لعبد اللَّه بن عمر، فجعل يقول: يا عبد اللَّه بخ بخ ابن أمير المؤمنين!!..فجاء إليه عبد اللَّه يسعى! قال عبد اللَّه: مالك يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: ما هذه الإبل؟ قال عبد اللَّه: إبل هزيلة اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى ابتغي ما يبتغي المسلمون.

فقال عمر: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين!! اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين!!

---

(١) صحيح على شرط مسلم.

يا عبد اللَّه خذ رأس مالك واجعل الربح في بيت مال المسلمين. . تراه يصادر نصف أملاك ابنه.

ولما فر من عمر بعير واحد من إبل الصدقة وجده عليّ ﷺ يركض خلفه ويبحث عنه، يقول عمر لعلي: فوالذي بعث محمدًا بالنبوة لو أن عناقًا ذهبت بشاطئ الفرات لأُخذ بها عمر يوم القيامة!!

بعير واحد يا عمر رضي اللَّه عنك! كيف يا أمير المؤمنين لو رأيت مجزرة غزة، لو رأيت أطفال غزة؟ لو شاهدت نساء غزة وشيوخ غزة ما لهم من بواكي!! إلى اللَّه المشتكى!!

يقول عمر ﷺ: والذي نفسي بيده لولا أن تنتقص حسناتي لشاركتكم في لين عيشكم!

وكان في عام الرمادة لا يأكل إلا الخبز والزيت حتى اسود جلده ويقول «بئس الوالي أنا إن شبعت والناس جياع!». . . للَّه درك يا عمر.

بل إن بطنه كانت تقرقر في عام الرمادة وكان قد حرم على نفسه السمن وكان يقول لبطنه وهي تقرقر: «إنه ليس عندنا غير الزيت حتى يحيا الناس».

قال قتادة: خرج عمر بن الخطاب ﷺ من المسجد ومعه الجارود فإذا امرأة برزة على الطريق، فسلم عليها فردت عليه، أو سلمت عليه فرد عليها، فقالت: هيه يا عمر عهدتك وأنت تسمى

عميرا في سوق عكاظ تصارع الصبيان فلم تذهب الأيام حتى سُميت عمر ثم لم تذهب الأيام حتى سُميت أمير المؤمنين، فاتق اللَّه في الرعية، واعلم أنه من خاف الموت خشي الفوت، فبكى عمر ﷺ، فقال الجارود: هيه لقد تجرأتِ على أمير المؤمنين وأبكيتيه. . فقال عمر: دعها أما تعرف هذه؟ هي خولة بنت حكيم التي سمع اللَّه قولها من فوق سبع سموات فعمر واللَّه أحرى أن يسمع كلامها[1].

وانظروا إخوتاه إلى أمير المؤمنين عمر ﷺ وهو يدخل بيت المقدس - أسأل اللَّه أن يكتب لنا جميعا صلاة فيه وينصر الإسلام والمسلمين على أعداء الدين- يدخل فاتحا راكبا برزونا، فجعل يتبختر به فجعل يضربه بردائه ثم قال: قبح اللَّه من علمك هذا!! هذا من الخيلاء! ونزل عنه وقال: ما حملتموني إلا على شيطان ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي![2] يا اللَّه.

أقول: أن من يكثر من المباحات فإنه تقل معها الدرجات في الجنات، إنه في الدنيا يأخذ من رصيده في الجنة، تقل متع الجنة يعني درجاتها في يوم بلوغ الأعالي، فإن عمر ﷺ ومن على دربه اختار المواهب ذات الخصوصية، ولا يقبل هذه الخصوصية إلا قلب مؤهل ومؤيد من عند اللَّه تعالى، فترى قلب يقف على أعتاب بيت المقدس يركب جملا أورقا، ويرتدي قميصا مرقعا

(١) المصباح ٢/ ٣٧/ العقد الفريد.
(٢) أخرجه الطبري ٢/ ٤٥٠.

خشنا بلا قلنسوة ولا عمامة ثم هو بأمير الروم يقول له: « أنت ملك العرب هذه البلاد لا تصلح لها الإبل، فلو لبست شيئا غير هذا، وركبت برزونا لكان ذلك أعظم في أعين الروم، فما كان من قلب عمر رضي الله عنه إلا أن قال: نحن قوم أعزنا اللَّه بالإسلام فلا نطلب بغير اللَّه بديلًا.

فالقلب المؤمن لا يريد أن يصب قلبه في قالب، في غلاف مزخرف، بل بمعنى آخر لا يريد أن يدخل الدين في أي غلاف لأن الإسلام هو في ذاته زينة ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف] الإسلام تشم روائحه الشذية من الأقاصي والأعالي فهو دين الفطرة فلن يزيد الدين بهاء «رقعة» أو «زيا» إنما قد تقلل من هيبته فالأمر عاليا بذاته ليس بحاجة إلى زركشة أو إلى إعلان فهو في متناول كل العيون تحسه الأيدي وتسمعه الأذن ويشمه الأنف فالإسلام عزيز باللَّه لأنه دينه، وكأنما عمر رضي الله عنه يقول: نحن قلب بلا قشور، نحن لب في أعماق الدهور، لكنكم أيها الروم خواء لا تظهره القشور فزينتكم لن تغني عنكم شيئا، فأنتم غلاف بلا شيء، بلا محتوى بلا قضية ونلاحظ هنا أن البرزون ليس محرمًا إنما قلب المؤمن يرفضه، إذا لابد من نواجذ وحضور القلب، فالشرع لا يطبق إلا بقلب سليم ومفتاح الدنيا هو مفتاح الذل، إنما مثل عمر رضي الله عنه كمثل رجل في الجنة يطلع على أهل النار من كوة الجنة ويصدق على هذا المعنى قول الحق ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

[الأعراف] فإن اقترب من الشجرة أو أكل أو حتى ذاق فقط، دخل الباب باب المحرمات ولذلك حذر ﷺ بقوله: «...**ويحك لا تفتحه فإن تفتحه تلجه!**» فالمؤمن دائمًا وأبدا يريد أن يبتعد عن النار، لا يريد أن يلوث فطرته فالإسلام دين الفطرة فالشرع لا يحرم ركوب البرزون ولكن القلب لفظه والفطرة السوية لم تثبته إنما ترسله وتذروه، والأمثلة في هذا كثيرة ولله الحمد.

وكان رضي الله عنه يركب الحمار خلف الغلام! وكان يحمل قرب الماء ويرعى الغنم.

أين هذا من شباب يترنح الواحد منهم في سيارته كالمخمور أو كالذي مسه الشيطان أو الجان، يصرخ ويمرح وتصرخ بجانبه آلات اللَّهو والفساد ويفجر الأرض ويحفرها وتتأرجح السيارة يمنة ويسرة وكأنها حية تشق الأرض شقا بأصوات مذهلة مرعبة!! أين هذا من أدب الصحابة؟!

رضي اللَّه تعالى عن عمر بن الخطاب كان ينام والدرة معلقة في يده هذا هو حال الجندي العابد للَّه تعالى.

كان ينام رضي الله عنه بلا حراس بلا حُجَّاب ولا كاتب ولا ديوان، قال الهرمزان بعد هزيمة الفرس: ينبغي أن يكون نبيا، فقال الصحابة: بل يعمل عمل الأنبياء.

كان رضي الله عنه بلا حراس لما كان الأمر مقتصرًا على المعنيين الخير والشر الأبيض والأسود، إنما أعمى الدخن عيون الناس فلا تبصر،

وزكمت الأنوف بالمعاصي وامتلأت بهذه الأصناف الأسواق والقرى أصبحت الألوان باهتة يصعب على الناظر تميزها إنما الإيمان واحد دين اللَّه واحد فلا تتلون يا عبد اللَّه فنحن نعيش زمنا كله دخن، ضباب المعاصي يعمي العيون بل القلوب عياذا باللَّه فكيف يسكن أو ينام العبد تحت الشجرة وأين هذه الشجرة لقد اشتكى الشجر والدواب من العباد في زمن يصبح الرجل فيه مؤمنا ويمسي كافرًا . . . عياذا باللَّه!

وأسوق إلى حضراتكم هذا الحنان المتدفق ليصل إلى قلوبكم فيملأها حبا ورحمة على مساكين المسلمين والأيتام والأرامل والزمنى.

كان لا ينام النهار ليقف على أحوال رعيته كان يتفقدهم ليل نهار، فكيف بالعالم اليوم وقد أصبح قرية صغيرة يستطيع الحاكم أن يرى جميع أحوال المسلمين من خلال الفضائيات ورغم ذلك لا تجد إلا الظلم واللامبالاة بأحوال المسلمين ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

فعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجت مع عمر ﷺ إلى (حرة واقم) حتى إذا كنا بصرار إذا نار تؤرث فقال: يا أسلم. إني أرى هؤلاء ركبا قصر بهم الليل والبرد انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم فإذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون، فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء-وكره أن

يقول يا أصحاب النار-، قالت: وعليك السلام. قال: أأدنو؟ قالت: ادن بخير أو دع. فدنا فقال: ما بالكم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد. قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: الجوع. قال: وأي شيء في هذا القدر؟ قالت: ماء أسكتهم به حتى يناموا. اللَّه بيننا وبين عمر! قال: أي رحمك اللَّه. ما يُدري عمر بكم؟ قالت: يتولى أمرنا ويغفل عنا؟! فأقبل عليّ وقال: انطلق بنا. فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عدلًا فيه كبة شحم. فقال: احمله عليّ. فقلت: أنا أحمله عنك. وكرر زيد وكرر عمر ثم قال عمر: أنت تحمل عني وزري يوم القيامة؟ لا أم لك. فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه نهرول حتى انتهينا إليها فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئًا فجعل يقول لها: ذرِّي عليَّ وأنا أحرِكُّ لك. وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة، فجعلت انظر إلى الدخان من خلال لحيته حتى أنضج وأدُمَ القدر، ثم قال: أبغني شيئًا. فأتته بصحفة فأفرغها فيها ثم جعل يقول: أطعميهم وأنا أسطِح لك، فلم يزل حتى شبعوا، ثم خِلّي عندها فضل ذلك، وقام وقمت معه فجعلت تقول: جزاك اللَّه خيرًا، أنت بهذا الأمر أمير المؤمنين! فيقول: قولي خيرا! إنك إذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هناك إن شاء اللَّه. ثم تنحى ناحية عنها، ثم استقبلها وربض مربض السبعُ فجعلت أقول له: إن لك شأنا غير هذا! وهو لا يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون ثم ناموا وهدؤوا فقام وهو يحمد اللَّه ثم أقبل عليَّ فقال: يا أسلم! إن الجوع أسهرهم وأبكاهم فأحببت ألا أنصرف (حتى أرى ما رأيت

منهم) . . . .

آهٍ ثم آهٍ ثم آهٍ مما رأى الناس من أحوال أطفال أهل غزة!!احترقوا، جاعوا، شُردوا، مُثل بهم، يُتموا، فُقعت أعينهم، وشُلت جوارحهم . . . مُزقوا وقُطعوا وتناثرت أشلاؤهم وكل هذا على مرأى ومسمع من العالم كله ولا عمر لهم ولا خالد لهم ولا حمزة لهم وليس لهم إلا اللَّه نعم المولى ونعم النصير .

وهاهو عمر ﷺ يسمع بكاء طفل طوال الليل لأن أمه تفطمه عن ثديها، فلما سألها لماذا تفطمه؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للفُطمُ . . . فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة بكائه فلما سلم قال: يا بؤسًا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين؟! ثم أمر مناديصا ينادي: ألا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام. وكتب بذلك إلى الآفاق. . للَّه درك ياعمر، هؤلاء هم صحابة رسول اللَّه ﷺ . . . رضي اللَّه عن عمر كان طوق النجاة لهم، يخشى أن يكون بينهم جائع أو مريض يحتاج إلى من يُعينه، يراقب ربه ليل نهار . .لا يأمر رعيته إلا بطاعة اللَّه . . كان يأخذ درته ويخرج ليلا يتفقد أحوال الرعية ﷺ حتى بلغ من أمره ﷺ أنه يسأل ابنته حفصة كم تصبر المرأة عن زوجها؟ قالت: شهر شهرين وثلاثة وفي الرابع ينفذ الصبر. فجعل ذلك أجلًا للرجل الذي يسافر عن زوجه.

تأملتم إخوة الإسلام كيف كان حرصه على رعيته، وكان

لا ينتقي من الولاة إلا أهل الزهد والعفاف وكان يكتب لهم عهدا ويشهد عليه من المهاجرين والأنصار ويشترط عليه ألا يركب برزونا ولا يأكل نقيًّا ولا يلبس رقيقًا ولا يتخذ (بابًا) دون حاجات الناس!! [تاريخ الطبري].

إخوتاه: يكاد العقل يطيش من هذا النموذج البشري الرائع وكأنه ضرب من الخيال الأسطوري .

اسمعوا يا رعاكم اللَّه/ أخرج البيهقي وإسناده صحيح عن زيد ابن وهب قال: خرج عمر ﷺ ويداه في أذنيه وهو يقول: يا لبيكاه. . . يا لبيكاه.

قال الناس: ماله؟؟ قال: جاءه بريد من بعض أمرائه أن نهرًا حال بينهم وبين العبور ولم يجدوا سفنًا. فقال أميرهم: اطلبوا لنا رجلا يعلم غور الماء. فأتى بشيخ فقال: إني أخاف البرد فأكرهه وأدخله فلم يلبثه البرد فجعل ينادي يا عمراه يا عمراه فغرق فكتب إليه فأقبل فمكث أيامًا معرضًا عنه، وكان إذا وجد على أحد منهم فعل به ذلك ثم قال: ما فعل الرجل الذي قتلته؟ قال: يا أمير المؤمنين ما تعمدت قتله لم نجد شيئًا نعبر فيه وأردنا أن نعلم غور الماء ففتحنا كذا وكذا وأصبنا كذا وكذا من الغنيمة.

فقال عمر (لرجل مسلم): أحب إليَّ من كل شيء جئت به، لولا أن تكون سُنة لضربت عنقك، اذهب فاعط أهله ديته واخرج فلا أراك. . .رجل واحد!!

يعجز القلم عن التعليق لمثل هذا الرقي الإنساني وهذا الخلق الحضاري والتاريخ النوراني. .أين أصحاب الحضارات المزيفة المزعومة ليتعلموا هذه الدروس. . أين الذين يغرقون الناس في بحار من الدماء؟ أين الذين يغرقونهم في بحار الشهوات والشبهات؟

أهدي هذه الأمثلة وهذه الروائع لتدوي في أذن الحضارة المعاصرة الصماء، لعلها تفتح بإذن ربها قلوبًا غلفًا وآذانًا صمًّا وألسنة بكما وأعينا عميا، فيا أيها الناس استقوا كؤوس العافية من سيرة سلفنا الصالح.

وروى البخاري برقم (٦٨٩٦) عن المغيرة بن حكيم الصنعاني عن أبيه قال: إن امرأة بصنعاء غاب عنها زوجها وترك في حجرها ابنا له من غيرها غلاما يقال أصيل فاتخذت المرأة بعد زوجها خليلًا فقالت له: إن هذا الغلام يفضحنا فاقتله فأبى، فامتنعت عنه فطاوعها فاجتمع على قتل الغلام الرجل وهذه المرأة ورجل آخر والخادم فقتلوه ثم قطعوه وجعلوه في عية -أي وعاء- من أدم فطرحوه في ركية - البئر التي لم تطو وليس فيها ماء- فأُخذ خليلها فاعترف ثم اعترف الباقون فكتب يعلى وهو يومئذ أمير بشأنهم إلى عمر فكتب إليه عمر بقتلهم جميعا وقال: واللَّه لو أن أهل صنعاء اشتركوا في قتله لقتلتهم أجمعين.

هذه هي صفات فاروق الأمة الإمام العادل ﷺ الذي يحب

ويتمنى صناعة الرجال كامثال أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة وحذيفة بن اليمان وعمير بن سعد، فبالرجال تفتح قلوب العباد والبلاد، قال تعالى﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه]، وقال تعالى﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه].

انظر إلى الفاروق وهو على أبواب بيت المقدس يركب جمل أورق، ويرتدي قميص مرقع خشن بلا قلنسوة ولا عمامة فقال له أمير الروم: أنت ملك العرب! هذه البلاد لا تصلح لها الإبل فلو لبست شيئًا غير هذا وركبت برزونا لكان ذلك أعظم في أعين الروم.

فقال عمر: نحن قوم أعزنا اللَّه بالإسلام، فلا نطلب بغير اللَّه بديلًا.

فكأنه ﷺ يشير لنا بنور البصيرة إلى أن العبد إذا تشبه بهم في ملبسهم ومركبهم فهو منهم، عياذا باللَّه إنها المفارقة بلا أدنى مفاصلة ولا مجاملة إنه الإسلام بلا تلون فإن دين اللَّه واحد وهكذا المسلم الحق.

ثم أتوه ببرذون طرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل فركب ما لبث أن قال: احبسوا احبسوا ما كنت أرى الناس يركبون الشيطان قبل هذا ثم أتى بجمله فركبه ثم تراه يخوض في المخاضة في ماء ومعه بعرة ويعترض أبي عبيدة ﷺ قائلا: قد صنعت اليوم صنيعًا عند أهل الأرض صنعت كذا وكذا فصكه في صدره وقال: أو غيرك يقولها يا أبا عبيدة إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس

فأعزكم اللَّه بالإسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم اللَّه.

نعم يا أمير المؤمنين حقا وصدقا ما أكثر كؤوس الذل التي تجرعتها الأمة بعدكم يا خير القرون ولم ولن تنال الأمة العزة حتى تعود إلى دينها.. هذا هو فاروق الأمة الذي يدعو إلى اللَّه تعالى وهو يعالج الموت يقول للغلام يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك.

ثم تراه يقول لابنه عبد اللَّه: ضع خدي على الأرض ويل لي وويل أمي إن لم يرحمني ربي.

عمر رضي الله عنه إنه التاريخ الذي سطر بسطور من نور فأضف إلى عمرك يا عبد اللَّه أعمارا بهذا التاريخ المشرق.. تأسى به واعمل به تفز في الدنيا والآخرة.

* * *

صبر واحتساب

قال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [غافر].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يا عثمان إن اللَّه مُقمِّصُك قميصا فإن أرادك المنافقون على خلعه، فلا تخلعه حتى تلقاني**»[1]...

إنه رجل المسئوليات، ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾.

إنما أنزلك اللَّه يا عبد اللَّه منزلة فلا تمكر ولا تراوغ ولا تحتال ولا تداهن، فينخلع من قميص قلبك، أو ينخلع هو عنك وقد لا تلحق به أبدا وقد يعاود وفي الحالتين وضيعة، إن اللَّه قد ألبسه وألبسك أيها المسلم، سترك فلا تتعرى، إنما هو قميص الستر وأنت لا تدري، ضعفت بصيرتك عن الرؤيا فالزم واعزم فالحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور مشتبهات، فاللَّه هو الذي أوجدك في

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع ٧٩٤٧.

هذا الزمان وهذا المكان تحديدًا فلا تخذل نفسك ولا تترك سلاحك ولا تلتفت ولا تخلع قميصك حتى ينخلع هو عنك بموتك، فعثمان ﷺ لا يخلع عنه قميصه وإن بلغ الثمانين حتى وإن مات عطشا، فهم منعوه من الشرب من بئر رومة وهو الذي حفرها لهم، ولكن كان هذا بحكمة الحكيم الفعال لما يريد فرسول اللَّه في الرؤيا يقول له: «تفطر عندنا الليلة» وأول ما يفعله الصائم شرب الماء فهو لم يشرب في الدنيا لأنه سيشرب في الجنة مع النبي ﷺ وأصحابه الكرام فأين ماء بئر رومة من ماء السلسبيل في الجنة؟!

أين الذين يصبرون على ابتلاءات الدنيا ليفوزوا بالنعيم المقيم؟

أين الذين سيفطرون مع النبي محمد ﷺ؟

أين الذين يجاهدون في سبيل اللَّه بأموالهم ولا يرجون من الناس جزاء ولا شكورا؟

ماذا قدمت يا عبد اللَّه لدين اللَّه؟ ماذا حفرت في أرض الإسلام، هل حفرت آبار الحياة أم حفرت شلالات الدماء؟

هل حفرت الأرض لتزرع أشجار وثمارا أم حفرت في الأرض تعيث فيها فسادا؟!

هل تتوق نفسك وتشتهي أن تموت صائما للَّه تعالى؟

فاعمل يا عبد اللَّه حتى يأتيك اليقين وأنت مرابط على الإسلام.

وقال ﷺ: «**إذا مشت أمتي المطيطاء و خدمها أبناء الملوك أبناء فارس و الروم سلط شرارها على خيارها**»[1]، هذا هو القائد الرباني الذي يرفض الفوضى في كل أشكالها، أراد الخصم اعتزاله وإما قتله فيرفض الاعتزال رغم أنه تجاوز الثمانين امتثالا لرغبة النبي محمد ﷺ وأمره: «لا تخلعه حتى تلقاني»، فالنبي ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وكانت هذه الفتنة المدمرة والتمرد الآبق يهدفان إلى هدم كيان الدولة الإسلامية ولكن اللَّه يتم نوره فيثبت عثمان رضي الله عنه وتأتيه الفرصة لقتلهم ولكنه يأبى ذلك!!

حاصروه (أربعين يومًا) وعنده في الدار من المهاجرين والأنصار قريب من سبعمائة وخلق من مواليه ولو تركهم لمنعوه، فقال لهم: أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده وأن ينطلق إلى منزله، وقال لرقيقه: من أغمد سيفه فهو حر.. وفي هذه المحنة يحتاج القائد إلى بطانة صالحة تؤيده تثبته تعينه على الحق، تأخذ بيده تحبه تواليه وتعادي من يعاديه طالما هو على الحق مع اللَّه تعالى.

وهذا ابن عمر رضي الله عنه يقول لعثمان رضي الله عنه: لا تَسُنّ هذه السنة في الإسلام ولا تخلع قميصا ألبسكه اللَّه.

سبحان اللَّه، يريدون قتله وهو الرجل الذي قال حينما حوصر:

---

(١) صحيح الجامع ٨٠١.

أنشدكم اللَّه، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ، ألستم تعلمون أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من حفر بئر رومة فله الجنة**» فحفرتها؟ ألستم تعلمون أنه قال «**من جهز جيش العسرة فله الجنة**» فجهزته؟ قال: فصدقوه بما قال[1]، سبحان اللَّه وبالرغم من ذلك منعوه الماء، ماء بئر رومة!

رجل متألق كالشمس في رابعة النهار ما كان ليسلم مصير الإسلام وكرامة الدولة المسلمة لعصابة مفتونة! يحافظ على هيبة الدولة ولو ذبح، رجل لا يفرط ليس عميلا للشرق ولا للغرب إنما هو إمام الحق.

رجل يعرف مدى خطورة حرمة الدماء في الفتنة (بين المسلمين) ويعلم فقه الفتن وطبيعة الفتن وكيفية التعامل معها لأنه يعلم ويفهم أحاديث النبي ﷺ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**ويل للعرب من شر قد اقترب أفلح من كف يده**»[2].

ولكن ما علامات هذا الشر؟ ما هي صفات بعض أهل هذا الزمان؟

يجيبنا رسول اللَّه ﷺ: «**يأتي على الناس زمان يغربلون فيه**

---

(١) البخاري ٢٧٧٨ معلقا وهو صحيح لشواهده.
(٢) صحيح.

غربلة يبقى منهم حثالة قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا - وشبك بين أصابعه- قالوا: يا رسول اللَّه فما المخرج من ذلك؟ قال: **تأخذون ما تعرفون وتدعون ما تنكرون وتقبلون على أمر خاصتكم وتدعون أمر عامتكم»**[١].

ومعنى الحديث أنه يذهب خيارهم ويبقى أراذلهم فلا يُعرف الأمين من الخائن ولا البر من الفاجر فعلى المسلم أن يأخذ الحق ويدع الباطل الفاسد.

* يعلم عثمان ﷺ حديث رسول اللَّه ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا**»[٢].

* وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: «**من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه**»[٣].

* حتى إنه ﷺ نهى أن يُتعاطى السيف مسلولًا[٤]، ومسلولًا أي خارجًا من غمده.

* وعن ابن عمر ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من حمل علينا السلاح فليس منا**»[٥]. وهذا القتال بين المسلمين بغير حق وهو

---

(١) صحيح بمجموع طرقه.
(٢) صحيح أبي داود ٥٠٠٤.
(٣) مسلم ٢٦١٦.
(٤) أبو داود٢٥٨٨ صحيح.
(٥) البخاري/ ٧٠٧٠ - مسلم/ ٩٨.

محرم ولو استحل المسلم قتال أخيه المسلم بغير حق كفر وإن لم يستحله بقلبه فهو مسلم عاصي وقال تعالى ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان]، وقال ﷺ: «**قتل المؤمن أعظم عند اللَّه من زوال الدنيا**»(١)، وقال ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس في الدماء**»(٢)، وقال ﷺ: «**من قتل مؤمنًا فاغتبط بقتله لم يقبل اللَّه منه صرفا ولا عدلًا**»(٣). . من قتله بغير قصاص وبغير حق ويعتقد أنه على هدى ولا يستغفر اللَّه، لا يقبل اللَّه منه فريضة ولا نافلة.

* وقال النبي محمد ﷺ في حجة الوداع: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»(٤).

و«كفارًا» على عدة أقوال:

١) أنه كفر نعمة الإسلام.

٢) كفر المستحل بغير الحق.

٣) هذا العمل يؤدي إلى الكفر.

٤) أنه فعل كفعل الكفار.

٥) معناه: لا تكفروا بل ابقوا على الإسلام.

---

(١) صحيح لغيره: النسائي٧/ ٨٣.

(٢) البخاري/ ٦٨٦٤.

(٣) صحيح الجامع ٦٤٥٤.

(٤) البخاري ٧٠٧٨.

٦) ومعناه: الذي يلبس السلاح ويدخل على المسلم.

٧) ومعناه: لا تكفر أخيك فتقتله.

٨) ومعناه: لا تفعل بالمؤمن كفعلك بالكافر.

* وقال ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**» قلت: يا رسول اللَّه، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «**انه كان حريصًا على قتل صاحبه**»[١].

وبلغ من خطورة إراقة الدماء بين صفوف المسلمين أن المجتمع الذي تنعدم فيه جماعة المسلمين وإمامهم: «**فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»[٢].

إخوتاه، كل ما قدمته من أحاديث وشروح يعلمه عثمان رضي الله عنه لذلك لما اشتد حصار الثوار لداره قال للصحابة الذين تجمعوا حول داره ليواجهوا الثوار بالسلاح: «إن أعظمكم عني غناء، رجل كف يده وسلاحه».

* ويقول لأبي هريرة وقد جاء شاهرًا سلاحه مدافعًا عنه: «أما إنك واللَّه لو قتلت رجلًا واحدًا لكأنما قتلت الناس جميعًا».

* ويقول للحسن والحسين وابن عمر وعبد اللَّه بن الزبير

---

(١) البخاري/ ٣١.

(٢) البخاري/ ٧٠٨٤.

وشباب الصحابة الذين قاموا لحراسته «أناشدكم اللَّه وأسألكم به ألا تراق بسببي مِحْجمَة دم».

* ويقول عثمان لعلي ﷺ: «لا حاجة لي في قتال وإهراق الدماء فنزع عليٌّ عمامته السوداء فرمى بها بين يدي الباب وجعل ينادي ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف]».

* وعن نافع بن عمر أن عثمان ﷺ أصبح يحدث الناس قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال: «**يا عثمان أفطر عندنا**» فأصبح صائمًا وقتل من يومه، واستسلم عثمان لأمر اللَّه رجاء موعوده ﷻ وشوقًا لرسول اللَّه ﷺ ليكون خيرًا ابني آدم.. ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَا بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة].

أين هذا الرجل من الأقزام مصاصين الدماء مجرمي الحروب، نحن لا نقارن فالمقارنة لا تنعقد أصلا ولا تنبغي، إنما فقط إشارة إلى هؤلاء الذين يتشدقون ويتجملون بالدماء وهم يزعمون أن هذه هي عنوان عقيدتهم... نعم عقيدتهم المحرفة الممسوخة سطروها بأيديهم القذرة!

يقول تلمودهم: «من يسفك دم غير يهودي يقدم قربانًا للرب!» «يحل اغتصاب الطفلة غير اليهودية متى بلغت من العمر ثلاث سنوات، وهب اللَّه (وحاشا للَّه) لليهود حق السيطرة والتصرف بدماء جميع الشعوب وما ملكت».

وليعلم العالم أن أضاحي اليهود في عيدهم هي الفطائر المعجونة بدم البشر وخاصة دم الأطفال الأبرياء، هؤلاء هم قربان صهيون وأبناء صهيون حتى أن بعض قادة المجاهدين الإسلاميين أعلنوا أنه حينما يُعدم من يصطفيه اللَّه بالشهادة من المسلمين فإن قادة اليهود يأمرون بقطع شرايين يده ليقدم دمه إليهم في عيد الفصح!! ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود].

خابوا وخسروا وعليهم دائرة السوء، ما كان لعقيدة سماوية أن تعتنق سفك الدماء زورًا أبدًا، لكن عقيدة الإسلام عقيدة بيضاء لا تتلون بلون الدماء إلا للَّه تعالى إما في قصاص أو في جهاد في سبيل اللَّه تعالى ونحو ذلك، أين هذا الصحابي الجليل من الذي يعين على قتل مسلم بل حتى قتل ذمي؟!!

فيا قتلة الأطفال! يا قتلة النساء والشيوخ والشباب! كفوا أيديكم قاتلكم اللَّه، وتذكروا قوله تعالى في الحديث القدسي: «**من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب**»، وتذكروا قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ [الحج].

فيا أم كل شهيد ويا أم كل محاصر وأسير أبشرك بقوله تعالى﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران].

هنيئا لكم أمة الإسلام شهداؤكم! هنيئًا لكم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾!!.

نسأل اللَّه أن يجعلني وإياكم من الذين يعملون على إعلاء كلمة الحق في سبيل اللَّه تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة].

هذه هي مهمة الدعاة إلى اللَّه تعالى أتباع الرسل، أصحاب الميراث الحقيقي.

❊ ❊ ❊

شجاعة الفرسان

مازلت أواصل حديثي معكم إخوتاه بإذن اللَّه تعالى لننهل من معين سلفنا الصالح، ولنتساءل أين نحن منهم!! تربية وتعليما وعملا يصل بنا إن شاء اللَّه تعالى إلى جنة عرضها السماوات والأرض . .

نحن اليوم موعدنا مع الذي قال له رسول اللَّه ﷺ: «**أما تريد أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي**»، إنه النجم الرابع في سماء الكون، ذلكم النجم الذي يضيء بإذن ربه الطريق إلى اللَّه تعالى.

إنه عليّ بن أبي طالب الذي لا يعرف المهادنة أو المداهنة أو المجاملة، ليس عنده استعداد أن يدير سياسة الرعية حسبما تقتضي أصول السياسة بعيدا عن أصول الدين وفروعه . . . ولم لا وهو الرجل الذي تشتاق له الجنة. . . وأهدي هذه المبارزة لشبابنا ولرجال الأمة لتكون لهم نورًا في دياجير الليل المظلم، بل نورًا يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، يضيء لهم الصراط على متن جهنم. .

في غزوة الخندق حضر كبش الكتيبة الذي هزم في يوم بدر

الكبرى وذاق مرارة الهزيمة، نذر أن لا يمس رأسه دهنًا حتى يقتل محمدًا، وكان أول الفرسان المقحمين بخيلهم الخندق نحو المسلمين وكان قد تجاوز الثمانين من عمره !! وكان قد جُرِح في بدر ولم يحضر أُحُدًا، وعند البيهقي في دلائل النبوة أن عمرو بن عبد ود خرج مقنعًا (بالحديد) وهذه عادة الكفار والمشركين بل والمنافقين الذين لهم من الوجوه ما اللَّه به عليم!! فنادى عمرو: من يبارز؟ فقام عليٌّ فقال: أنا لها يا نبي اللَّه، فقال: «**إنه عمرو اجلس**»، ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ أين جنتكم التي تزعمون أنه من قُتِل منكم دخلها، أفلا تبرزون إليَّ رجلًا؟ فقام عليٌّ فقال: أنا يا رسول اللَّه، فقال: «**اجلس**»، ثم نادى في الثالثة: فقام عليٌّ فقال: يا رسول اللَّه أنا، فقال: «**إنه عمرو**»، فقال: وإن كان عمرًا، فأذن له رسول اللَّه ﷺ فمشى إليه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك
مجيب صوتك غير عاجز
في نية وبصيرة
والصدق مَنجَى فائز
إني لأرجو أن أقيـ
ـم عليك نائحة الجنائز

من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

ضربة نجلاء: أي واسعة كبيرة عند الهزاهز أي عند الحروب.

قال عمرو: يا ابن أخي مِن أعمامك من هو أسنُّ منك فواللَّه ما أحب أن أقتلك، فقال عليّ: ولكني واللَّه أحب أن أقتلك، وعند ذلك غضب عمرو غضبًا شديدًا ونزل فسل سيفه، كأنه شعلة نار ثم أقبل نحوه مغضبًا فشج رأس عليّ وضربه عليّ، وثار العجاج وسمع رسول اللَّه ﷺ التكبير فعرف الناس أن عليًّا قد قتل عمرًا.

وهنا وقفة عزيزة غالية من صميم عزة المؤمن وشرفه وأدبه مع اللَّه تعالى، قال عمر بن الخطاب: هلا أسلبت درعه، فإنه ليس للعرب درعٌ خير منها!! فقال عليّ: ضربته فاتقاني بسوءته (فاستحييت)..... اللَّه أكبر، ولم لا وهو في ساقه الشرف والكرامة.. وقد تعلم على يد رسول البشرية ومعلمها ﷺ الأدب الجم والحياء.

وهذا يعلم أن المسلم باللَّه يصول ويجول، وليس بقوة البدن النصر، إنما بقوة الإيمان.

وبعث المشركون إلى رسول اللَّه ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف فقال: «**ادفعوا إليهم جيفته،فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية**»

فلم يقبل منها شيئًا[1].

وصدق اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾.... هذه هي عزة المسلم وكرامة المؤمن.

وأسوق إلى حضراتكم إخوة الإسلام عليّ الرجل الذي فتح اللَّه عليه يوم خيبر، عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قام يوم خيبر وقال: «**لأعطين الراية غدا رجلا يفتح اللَّه على يده يحب اللَّه ورسوله ويحبه اللَّه ورسوله**» وفي رواية: «**لا يفر**»... انظر إلى مؤهلات صاحب الراية:

١) **رجل والرجال قليل**: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور]، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب].

٢) **مفتاحًا للخير**.

٣) **يحب اللَّه ورسوله** ﷺ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران].

٤) **يحبه اللَّه ورسوله** ﷺ

إذًا أول الأمر وأوسطه وآخره «صناعة الرجال»

---

(١) البداية والنهاية ٤/ ١٠٦.

٥) **لا يفر** ثابت القلب والقالب رجل مقدام لأنه يفر دائمًا إلى اللَّه.

وأقول: لقد عاشت الأمة فترة طويلة من التيه فترة ما قبل أحداث غزة وقد آن الأوان لنعيد صناعة الرجال وبهم تضع الأمة الغذاء والكساء والدواء والسلاح.. وبهم تنصر الأمة بإذن اللَّه.. فالجولة القادمة للإسلام إن شاء اللَّه تعالى والنصر قادم، إن قمنا بتربية أنفسنا وأولادنا إيمانيا على النسق الأول فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صَلُحَ به أولها ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة]، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات].

وتأمل اسم السورة (الصافات) جندي مسلم يحب اللَّه ورسوله ويحبه اللَّه ورسوله يحمل راية الإسلام عالية خفاقة لإعلاء كلمة اللَّه تعالى، يقف بجوار أخيه المسلم في الصلاة في الصف، يصف قدميه في صفوف كصفوف الملائكة معتصما بحبل اللَّه، لا يختلف ولا يفترق عن أخيه البتة.

وتأمل سورة (الصف) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ والبنيان هو أنا وأنت وهو وهي وهم، البنيان هو المجتمع الإسلامي الذي لابد أن يبنى من جديد، لابد له من أساس ودعامة.. قال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾

[التوبة]. . وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة]، ولا بد لهذا البنيان من امتحان للوقوف على مدى صلابته وقوته أو انهياره وتصدعه، قال تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة]، فالذين يترددون في بناء بنيانهم وينافقون ويجبنون نقول لهم ما قاله اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ﴾ [التوبة] هذا هو المحك، يا من أتممتم بناء المسجد على تقوى من اللَّه وبنيتم معه قلوب الرجال هلموا إلى الجهاد خذوا راية الإسلام لذلك أول عمل قام به النبي ﷺ عند دخوله المدينة المنورة بناء المسجد ومعه بناء القلوب «قلوب الرجال» ثلاثة وعشرون سنة يصنع فيها قلوب الرجال . . فالمجتمع الهش البنيان في رجاله ومساجده، مجتمع لا تقوم له قائمة، مجتمع فيه هوان وذل وصغار، مجتمع خرِب، خالي من روح الجهاد، فكيف يواجه هذا المجتمع عدوه، بل كيف ينتصر أولا على نفسه وشهواته، وشبهاته . . . إلى اللَّه المشتكى!! ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

إذا «**لأعطين هذه الراية (غدًا) رجلًا يفتح اللَّه على يده، يحب اللَّه ورسوله ويحبه اللَّه ورسوله**»، وكلمة (غدًا) لها مغزى جميل وهو أن الناس باتوا ليلتهم أيهم يُعطاها، كلهم يرجو أن يُعطاها لدرجة أن عمر رضي الله عنه قال: «ما أحببت الإمارة إلا يومئذ تساورت لها

رجاء أن أدعى لها» وهذا درس تربوي من معلم الأمة ﷺ فدعا رسول اللَّه ﷺ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فأعطاه إياها وقال: «**أمش ولا تلتفت حتى يفتح اللَّه عليك**» فسار عليّ شيئًا ثم وقف ولم يلتفت فصرخ: يا رسول اللَّه على ماذا أقاتل الناس. قال: «**قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على اللَّه**»[1]. ودققوا النظر في «ولا تلتفت»: أمر فيه سر فتح خيبر فإياك والأوامر.

إخوة الإسلام: اسمعوا عليًّا عندما دعوه لقصر الإمارة قصر كبير ترتفع هامته في شموخ وفتنة فلا يكاد يبصره حتى يولي مدبرًا وهو يقول: «قصر الخبال هذا لا أسكنه أبدا» ويرتدي قميصًا اشتراه من السوق بثلاثة دراهم ويركب حمارا ويقول: «دعوني أُهِن الدنيا».

هذا درس يعلم الحكام في كل جيل وعصر أن الولاء للحق، هو يرفض إغراء الدنيا وغرور السلطان . . قال الإمام أحمد رحمه الله:

مـازانـه الـمُـلـكُ إذ حـداه
بـل كـل شـيء بـه يُـزان

وانظروا أحبتي في اللَّه: عليٌّ رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين يمشي برزنه في الأسواق ويأمر الناس بتقوى اللَّه وحسن البيع يقول: أوفوا

(١) مسلم ٢٤٠٥.

الكيل والميزان، ويقول: لا تنفخوا اللحم!! للَّه درك يا أبا الحسن . . . أين زماننا من زمانك ؟!

يقول ﷺ: أأقنع من نفسي أن يقال: أمير المؤمنين ثم لا أشارك المؤمنين في (مكاره الزمان)؟ ونضم أحبتي في اللَّه أصواتنا وقلوبنا إلى ما قاله عليٌّ ما حيينا في هذه الدار، بأن نشارك المسلمين في جميع أنحاء الأرض في مكاره الزمان ولا أقل من أن نشاركهم (بالمقاطعة) المقاطعة للعدو الغاشم ومَن وراءه، حيث نقاطع منتجاتهم لنقطع عليهم المدد والعدة والعتاد. . . لابد أن نوقف هذا السيل المتدفق من الدماء على الأراضي المسلمة. . لابد أن ننصرهم نشاركهم آلامهم، ولابد أن يرى اللَّه منا خيرًا. . فعن النعمان بن بشير ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: « **مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم و تعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى**»[1]. . لأننا واللَّه الذي لا إله إلا هو لموقوفون ومسئولون عن كل هذا!! ونحذر الفئة المثبطة بقوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [المائدة]. . ويقول اللَّه تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة]، فعلى كل مسلم ألا يخشى الدائرة ولا العيلة، والدائرة:

(١) صحيح الجامع٥٨٤٩.

يعني نوائب الدهر، والعيلة: هو الفقر.. لا!! إنما المسلم لا يخاف إلا اللَّه معتمدا عليه متوكلا عليه، لكن الدائرة والعيلة تأتي على المسلم الذي لا يهمه أمر أخيه المسلم ولا يشاركه أحزانه ولا يخفف عنه آلامه، فالدائرة تدور عليه والفقر يلازمه، فغنيُ اليوم قد يُصبح فقيرا غدا، والذي يعيش في أمن اليوم قد يعيش ويلات الحروب غدا، وإذا أراد أن يمده غيره بإعانة فلا يجد إلا الحصار المضروب أولا على القلوب قبل الحدود والجزاء من جنس العمل، وأنا أقصد بهذا على المستوى الفردي والأسري قبل المستوى العالمي فالمسلم مسئول عن نفسه أولا، فليبدأ كل مسلم بنفسه... واللَّه المستعان..

ونستأنف الحديث مع عليٍّ ﷺ حيث يقول: واللَّه لو شئت لكان لي من صفو هذا العسل ولُباب هذا البر ومناعم هذه الثياب ولكن هيهات أن يغلبني الهوى فأبيت مبطانًا وحولي بطون غرثى وأكباد حرى.

أيها الرعاء، إن لرعيتكم حقوقًا: الحكم بالعدل والقسم بالسوية وما من حسنة أحب إلى اللَّه من إمام عادل[1].

ولم لا والإمام العادل من أوائل السبعة الذين يظلهم اللَّه في ظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله.

يقول علي ﷺ: أيها الناس والذي لا إله إلا هو ما زرأت من

(١) ابن عبد البر في التمهيد.

مالكم قليلًا ولا كثيرًا إلا هذه وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب ، فقال: أهداها إليَّ الدهقان (رئيس إقليم العجم) ثم أتى بيت المال فقال: خذوا.

يا اللَّه ما هذا الطهر والعفاف؟! حقا إنهم أكابر وسادات الناس، إنهم صحابة رسول اللَّه ﷺ.

وعن عبد اللَّه بن زرير رَحِمَهُ اللَّهُ قال: دخلت على عليٍ يوم الأضحى فقرب إلينا خزيرة أي قطع لحم صغير بماء ودقيق، فقلنا أصلحك اللَّه لو أطعمتنا من هذا البط فإن اللَّه قد أكثر الخير، فقال: يا ابن زرير إني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لا يحل للخليفة من مال اللَّه إلا قصعتان قصعة يأكلها هو وأهله وقصعة يطعمها بين الناس**»[1].

إنه الإمام النقي التقي الورع العادل. .وتعالوا ندخل على أمير المؤمنين في ليلة شاتية قارصة البرودة لنراه هل يلبس الجاكت والبالطو والعباءة وفوقه بطانيات من الروم أو من الفرس ويشرب كذا ويأكل كذا وكل هذا حلال لكننا نرى عنترة بن عبد الرحمن الشيباني يدخل عليه فيجد عليه قطعة قطيفة ويرعد من البرد فقال له: يا أمير المؤمنين إن اللَّه قد جعل لك ولأهل بيتك نصيبا من هذا

(١) صحيح أخرجه الإمام أحمد ١/ ٧٨.

المال وأنت ترعد من البرد؟! فقال علي: إني واللَّه لا أرزأ من مالكم شيئا وهذه القطيفة هي التي خرجت بها من بيتي أو قال من المدينة وقد كان وقتها بالكوفة.

هذا هو الراعي المسئول عن رعيته هذا هو الإمام العادل يدخل عليه ابن النباج يوما فيقول له: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء - ذهب وفضة- فقال: اللَّه أكبر فقام متوكئا عليه حتى قام على بيت مال المسلمين وأعطى جميع ما فيه للناس وهو يقول: يا صفراء ويا بيضاء غري غيري... حتى ما بقى منه دينار ولا درهم ثم أمره بنضحه وصلى فيه ركعتين، وعن على بن الأرقم عن أبيه قال: رأيت عليًّا وهو يبيع سيفًا له في السوق ويقول: من يشتري مني هذا السيف فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به عن وجه رسول اللَّه ﷺ ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته[1].

عرفنا الآن إخوة الإسلام لماذا هؤلاء الكبار السادة هانت عليهم الدنيا؟ لأنها ما ملكت قلوبهم بل هم الذين قادوها بمنهج اللَّه لتقودهم إلى رضا اللَّه تعالى، ما كان للدنيا وزن عندهم بل وزن الواحد منهم بأمة حقًّا كانوا رجال وليسوا أرباب دنيا كانوا لا يعبدون إلا اللَّه تعالى، هم قوم لا يعبدون كرسي ولا منصب،

(١) صحيح أخرجه أبو نعيم في الحلية١/ ٨٣.

الولاية والإمارة عندهم تكليف وليس تشريف وهنا نذكر حديث رسول اللَّه ﷺ: «**ما من أمير عشرة إلا وهو يؤتى به يوم القيامة مغلولا حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور**»[1]

يا اللَّه!! عشرة؟! فما بالكم بإنسان مسئول عن ملايين؟!! نسأل اللَّه السلامة.

رضي اللَّه عن علي يمشي في أسواق الكوفة وهو خليفة المسلمين فيرشد الضال ويعين الضعيف ويلتقي بالشيخ المسن الكهل فيحمل عنه حاجته ولا يسكن قصر الإمارة ويقول: قصر الخبال هذا، لا أسكنه أبدا!

يقول على لعسكره: لا تقتلوا مدبرًا ولا تجهزوا على جريح، ولا تقربوا النساء بأذى وإن شتمنكم وشتمن أمراءكم وصلحاءكم واذكروا اللَّه كثيرا لعلكم تفلحون... إنها أخلاق الإسلام، إنها عظمة هذا الدين القويم.

ولما طعن رضي الله عنه وهو يتهيأ للصلاة بعد أن مر بشوارع الكوفة يوقظ أهلها لصلاة الفجر قال لبنيه بعد أن علم قاتله: «أحسنوا نزله وأكرموا مثواه فإن أعش فأنا أولى بدمه قصاصًا أو عفوًا وإن أمت فألحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين، ولا تقتلوا بي سواه إن اللَّه

(١) صحيح الجامع ٥٦٩٥.

لا يحب المعتدين»[١].

قمة العدل والإنسانية فليتعلم العالم بأسره من صحابة رسول اللَّه ﷺ.

* * *

(١) د/ سيد حسين العفاني ترطيب الأفواه. . .

فتح ونصر

مازال الحديث متصلًا بكم أحبتي في اللَّه، لننهل من معين السلف الصالح والذي لا ينضب بل يزداد مع مرور الزمن صفاءً وجمالًا ونقاوةً ولنرى أين نحن منهم وكم بيننا وبينهم من مسافات ولنحقق قول الحق تعالى ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة].

إخوتاه، انظروا إلى طلحة بن عبيد اللَّه وهو يقول: يا علقمة (علقمة بن وقاص الليثي) «لا تلمني، كنا أمس يدًا واحدة على من سوانا فأصبحنا اليوم جبلين من حديد يزحف أحدنا إلى صاحبه ولكنه كان مني شيء في أمر عثمان مما لا أرى كفارته إلا سفك دمي في طلب دمه»!

اللَّه أكبر اللَّه اكبر اللَّه أكبر ما هذا؟

وكما قلت آنفًا كأنه ضرب من الخيال، كأنه شيء أسطوري، لكنها الحقيقة المسطرة في جبين التاريخ، بل المكتوبة بحروف من نور في لب القلوب.

والزحف يعني أمرين هامين، زحف ممدوح وزحف مذموم، الزحف الممدوح هو زحف قوة الحق على الباطل ليدفعه فإذا هو

زاهق، والزحف المذموم هو زحف المسلم على أخيه المسلم، الزحف على عرضه ونفسه وماله بل وعقيدته، زحف لوهن لبنات المجتمع يجعله مجتمعا هشا يسهل تمزيقه وتشيعه وتغريبه وتهويده كيف يزحف بعضنا على بعض، كيف لا نتحد على كلمة سواء بيننا؟! كيف رضينا بالشتات والتمزيق وأصبحنا جماعات وأحزاب كل حزب بما لديهم فرحون؟!

فو اللَّه إنها الهزيمة في الصف الواحد إنه التقاعس عن جمع الأمة إلى متى هذا التشرذم إخوة الإسلام؟!

«كنا أمس يدًا واحدة على من سوانا»، أقول: صار سوانا يدًا واحدة علينا ولا حول ولا قوة إلا باللَّه!

فلابد قبل توحيد الصف من توحيد الكلمة، نتوحد على لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه هذا هو المنهج فلنتبع سلفنا الصالح رضي الله عنهم ولا نبتدع في دين اللَّه.

ثم انظروا إلى طلحة لما حقق تمام التوحيد للَّه تعالى في نفسه قال: «ولكنه كان مني شيء في أمر عثمان مما لا أرى كفارته إلا سفك دمي في طلب دمه».

أقول: يا طلحة رضي اللَّه عنك وأرضاك، ماذا نقول نحن في دماء وأشلاء المسلمين والمسلمات في أنحاء المعمورة؟ ماذا نقول وكيف نفتدي دماء أطفال ونساء وشباب غزة؟ كيف نأخذ بثأرهم؟ بديتهم بحقهم، كيف لا يكون لهم رجال من الأمة بعدد هذه

الأمة؟... كيف؟ أين الإخوة في اللَّه؟ أين حق المسلم على المسلم؟ أين حق الجار؟ أين حق اللَّه فيهم؟ أين حق الإسلام؟ إلى اللَّه المشتكى واللَّه المستعان.

هذا هو طلحة الذي قال له رسول اللَّه ﷺ يوم أحد عندما قُطعت أصابعه وقال حس، قال له رسول اللَّه ﷺ: «**لو قلت بسم اللَّه لرفعتك الملائكة والناس ينظرون**» وفي رواية الطبراني: «**لطارت بك الملائكة والناس ينظرون إليك**»(١).

وعند النسائي والبيهقي في الدلائل: «**حتى تلج بك في جو السماء**»، وعند أحمد: «**لو قلت بسم اللَّه لرأيت يبنى لك بها بيت في الجنة وأنت حي في الدنيا**»(٢).

ومن هنا نأخذ أهمية (بسم اللَّه) فهي دواء الجروح وهي الرفعة والعلو والسمو إلى اللَّه رب العالمين، ونفهم أن الصبر عند الصدمة الأولى فليقولها العبد إذا جرح وأصابه مكروه فإنها بلسمه وترياقه ودواؤه وشفاؤه فاللَّه هو الطبيب الشافي، هذه هي الترجمة الحقيقية السلوكية الفعلية لقوله تعالى ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق]، يعني قاتل باسم ربك فإذا ما جرحت في سبيله فقل بسم اللَّه، اللَّه الذي شرع الجهاد وكتب الأجر والثواب لك دون غيرك.

يقول النبي ﷺ: «**من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه**

---

(١) الصحيحة ٢١٧١.

(٢) رواه أحمد وإسناده صحيح.

الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد اللَّه»[١].

قال الزبير بن العوام ﷺ: إن طلحة يُسمي بنيه بأسماء الأنبياء وقد علم أنه لا نبي بعد محمد ﷺ.

وانظر إلى (الزبير بن العوام) أول من سل سيفه في سبيل اللَّه ﷺ أحد العشرة المبشرين بالجنة هو وطلحة... يقول الزبير: وإني أسمي بني بأسماء الشهداء لعلهم أن يستشهدوا، فسمَّى عبد اللَّه بعبد اللَّه بن جحش، والمنذر بالمنذر بن عمرو، وعروة بعروة بن مسعود، وحمزة بحمزة بن عبد المطلب، وجعفرًا بجعفر بن أبي طالب، ومصعبًا بمصعب بن عمير، وعبيدة بعبيدة بن الحارث، وخالدًا بخالد بن سعيد، وعمرًا بعمرو بن سعيد بن العاص[٢].

فهلا تستفيق أمتي وتسمي أولادها بأسماء هؤلاء الكبار القمم ومن تشبه بقوم فهو منهم، تشبهوا بالكرام، لعل اللَّه يكرمنا ويكرم أولادنا بالشهادة في سبيله.

هذا هو الزبير الشاب الصغير في السن الكبير في الشأن ينفخ له قومه قربة ليسبح عليها حتى يخرج إلى ناحية النيل ليسمع ويرى ما قد حدث بين النجاشي والرجل الذي ينازعه في الملك، وقد كان الصحابة يأمنون وينعمون عنده بالأمن والأمان، ورجع الزبير وهو

---

(١) صحيح الجامع ٥٩٦٢.

(٢) الطبقات لابن سعد.

يقول: أبشروا فقد ظفر النجاشي وأهلك اللَّه عدوه ومكن له في بلاده. . . أين شبابنا من هذا الشاب؟!

تراه يوم بدر يلبس عمامة صفراء فينزل جبريل عليه السلام على هيئة الزبير، يا لها من منقبة عظيمة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها رجل تتشبه به الملائكة. . . ولا يعرف قدر الرجال إلا الرجال.

قال الثوري رحمه الله: نجدة الصحابة حمزة وعلي والزبير، إنهم كتيبة إنقاذ، شرطة، نجدة، إغاثة، إنهم أسود العرب رضي الله عنهم.

قال فيه علي رضي الله عنه: الزبير يغضب كالنمر ويثب وثوب الأسد[1].

إنه الزبير رجل مقدام شجاع قوي، لقد اخترق صفوف الروم مرتين من أولهم إلى آخرهم في اليمامة واليرموك يا له من فارس مغوار هؤلاء هم أبناء المسلمين.

في فتح مصر قصد عمرو بن العاص مصر بثلاثة آلاف وخمسمائة رجل فكتب إلى عمر يطلب المزيد فأرسل عمر رضي الله عنه أربعة آلاف رجل عليهم الزبير والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد، وقال آخرون: خارجة بن حذافة هو الرابع، يترأس الأربعة والجيش الزبير، وقال عمر رضي الله عنه: إني أمددتك بأربعة آلاف على كل ألف منهم رجل مقام ألف كان رئيس

(١) تهذيب ابن عساكر ٥/ ٣٦٢.

الكتيبة هو الزبير.

الشاهد: رجل مقام ألف، أين هذا الرجل من غثائية اليوم؟ حقيقة نحن نحتاج إلى صناعة الرجال وهذا دور نساء المسلمين أن تربي الأم ولدها على هذه السير العطرة، على الأم أن ترضع ولدها هذا الترياق السلسبيل على الأم أن تفطم ولدها إلا عن هذه السير الشريفة لكي يتشرب قلب الولد هذا التاريخ المجيد لأسلافه الكرام، فأولاد اليهود يتشربون ماءا أسودا لعقيدة شوهاء وعرجاء عمياء صماء ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة]! فنحن أحرى أن تتشرب قلوب أولادنا هذا التاريخ العذب الفرات.

وحين قدم الزبير على عمرو بن العاص في مصر وجده محاصِرًا حصن (بابليون) فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن ثم فرَّق الرجال حول الخندق وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر فقيل للزبير: إن بها الطاعون، فقال: إنما جئنا للطعن والطاعون![1] يا له من إقدام إنه إقدام القلب على اللَّه.

وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص فقال الزبير: إني أهب نفسي للَّه أرجو أن يفتح اللَّه بذلك على المسلمين، فوضع سلمًا، ما وضع قنبلة عنقودية ولا فسفورية ولا طائرة أباتشي ولا صاروخ ولا دبابة ولا لغم ولا شريط نسف ولا شيء من هذا إنما (سُلَّم) فقط سلم!

(١) طبقات ابن سعد.

هذا هو العتاد والعدة والأسلحة، والنصر والتمكين، والبركة من اللَّه، ليس من نوع السلاح ولا عدده ولا كيفيته، قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ سُلَمْ! وماذا يفعل السُلَمْ؟؟ إنه كان أداة الفتح! يا اللَّه إذا أراد اللَّه شيئا هيأ له بأيسر الأسباب وانظروا إلى أطفال الحجارة، وضع سلمًا وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد، وأمرهم إذا سمعوا (تكبيره) علامة النصر، أن يجيبوه جميعًا، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف، فتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفًا من أن ينكسر، فلما رأى (الروم) أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا وبذلك فتح حصن بابليون أبوابه للمسلمين، وفتحت مصر وكان نصرًا على المقوقس[1].

وانظروا إلى هذه الحكمة، في يوم الجمل، خرج الزبير يريد عليّ فقال له عليّ: أنشدك اللَّه هل سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «تقاتله وأنت له ظالم؟» فقال: اذكر. ثم مضى الزبير منصرفًا عن عليّ، ولم يقاتله وبرغم أنه ترك القتال إلا أنه قُتل ظلمًا وكان شهيدًا على يد ابن جُرموز، ومثل الزبير مثل طلحة قتل شهيدًا مظلومًا رغم أنه اعتزل الناس وترك القتال، فليس كل من يترك القتال لا يموت شهيدًا، وليس كل من يشهد القتال يموت شهيدًا، وتلك هي حكمة اللَّه تعالى في خلقه.. وصدق اللَّه تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾

(١) قادة فتح الشام ومصر ص٢٠٩.

[القمر]، ونرد بهذه الحكمة على الذين يخذلون المجاهدين في سبيل اللَّه ويخوفونهم من القتل وكأن كل من يدخل ساحة الجهاد والشرف يقتل شهيدًا . . نقول لهم لا . . إن الشهادة تاج عظيم لا يضعه اللَّه إلا على رؤوس الشرفاء لا على رؤوس الجبناء . . . ونقول لهم ما قاله اللَّه تعالى : ﴿يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْۖ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران]، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران].

وجيء برأس الزبير رضي الله عنه إلى عليّ، رأس الزبير!! التي طالما رفعت بإذن اللَّه راية الإسلام والمسلمين يا اللَّه إنها الشهادة، الكرامة لأولياء اللَّه تعالى، ذلك فضل اللَّه يؤتيه من يشاء من عباده . . هذا هو الزبير حواري رسول اللَّه ﷺ الذي باع دارًا بـ(٦٠٠٠٠٠) بستمائة ألف وجعلها في سبيل اللَّه مجاهدًا بنفسه وماله في سبيل اللَّه .

وهناك نموذج آخر أقدمه جيل التمكين هذا الرجل جاهد في

سبيل اللَّه بماله فكان مثالًا للغني الشاكر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة]، إنه الرجل الذي كان أهل المدينة عيالًا عليه، إنه الرجل الذي أوصى بخمسين ألف دينار في سبيل اللَّه فكان الرجل يعطى منها ألف دينار، إنه الرجل الذي قال عنه الزهري أنه أعطى كل بدري أربع مئة دينار، كان منهم عثمان رضي الله عنه[1]، هو الرجل الذي عمل بهدي النبي محمد ﷺ: «**خيركم خيركم لأهلي من بعدي**»، فباع حديقة بأربع مائة ألف قسمها في أزواج النبي محمد ﷺ[2].

وقالت أم سلمة رضي الله عنها: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول لأزواجه: «**إن الذي يحنو عليكن بعدي لهو الصادق البار**. اللَّهم اسق عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة»[3].

إنه (عبد الرحمن بن عوف) المجاهد في سبيل اللَّه بماله، تصدق في عهد النبي ﷺ بشطر ماله ثم تصدق بعد بأربعين ألف دينار ثم حمل خمسمائة فرس في سبيل اللَّه وخمسمائة راحلة وأعتق في

(١) السير للإمام الذهبي.
(٢) حديث صحيح على شرط مسلم.
(٣) مجمع الزوائد ١٤٨٩٨.

يوم واحد ثلاثين عبدًا، حتى إنه بعد ذلك يبكي ويقول: «خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت لنا.. » إنه التقي النقي الورع رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف.

أحبتي في اللَّه: ماذا قدمنا نحن لدين اللَّه؟ أين جهادنا بالمال؟ والجهاد بالمال له شقين: أن تعطيه لمستحقيه في سبيل اللَّه وأن تمنعه عن أعداء اللَّه، وهذا أيضًا جهاد ولذلك أنبه إلى ضرورة استمرار (المقاطعة) مع اليهود ومن هاودهم والنصارى ومن ناصرهم، وأنا أقترح أن تكتب هذه المقاطعة وتضم إلى وصية كل مسلم ومسلمة لكي يتركها لأولاده وهذا بالطبع جهاد، ويدخل ضمن دائرة البراء من أعداء اللَّه ورسله، وخاصة بعد مذبحة غزة التي كانت على مرأى ومسمع من العالم كله..، فلا أقل من أن تنصروا إخوانكم بهذه المقاطعة ولا تخافوا من ذي العرش إقلالًا! قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران].

ونضيف تاجًا آخر على رأس هذا الزمان ليشع بنوره ودرره وياقوته ليملأ قلوب العباد وساحات البلاد إنه أحد المبشرين بالجنة، وخال رسول اللَّه ﷺ وبطل القادسية وفاتح المدائن ومطفئ نار المجوس بإذن ربه.. إنه (سعد بن أبي وقاص) إنه الشاب الذي يبلغ عمره (١٧) عامًا، كان يضم بين جنبات قلبه رجاحة الكهول وحكمة الشيوخ ولا يتعلق بلهو الشباب إنما كان يصرف همه إلى

بري السهام وإصلاح الأقواس والتدريب على الرماية وكأنه يعد نفسه لأمر كبير . . . مكث سعد ﷺ سبعة أيام وكان يمثل فيهن ثلث الإسلام [١] . .إن سعدًا ﷺ أول من رمى بسهم في سبيل اللَّه تعالى . . وانظر إلى سر استجابة اللَّه تعالى لسعد ﷺ في دعائه ، عن عامر الشعبي قال: قيل لسعد ﷺ: متى أصبت الدعوة؟ قال: يوم بدر ،كنت أرمي بين يدي النبي ﷺ فأضع السهم في كبد القوس ثم أقول: اللَّهم زلزل أقدامهم، وأرعب قلوبهم وافعل بهم وافعل[٢]. فيقول النبي ﷺ: «**اللَّهم استجب لسعد**» لقد ناله بركة النبوة، وفي غزوة أحد قال سعد: فلقد رأيته ﷺ يناولني النبل وهو يقول: «**ارم فداك أبي وأمي**» حتى إنه ليناولني السهم ماله من نصل فيقول: «**ارم به**»[٣] سهم بلا نصل ماذا يفعل؟ حجارة! ماذا تفعل أمام جيوش جرارة وعدة وعتاد؟! فالحقيقة أنك لا ترمي بنفسك أنت، إن الذي يرمي هو اللَّه تعالى فعلينا بالإيمان باللَّه، الإيمان باسمه القوي المتين، الإيمان باسمه النصير، وعلينا بالثقة في معية اللَّه لأوليائه المؤمنين.

وعن سعد ﷺ قال: كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ارم فداك أبي وأمي**» فنزعت بسهم

(١) البخاري ٣٧٢٧.
(٢) المجمع ١٤٨٥١ بإسناد حسن.
(٣) البخاري ٦/ ٢٩٠٥ ،مسلم ٤/ ١٨٧٦.

ليس فيه نصل، فأصبت وجهه، فوقع وانكشفت عورته فضحك رسول اللَّه ﷺ حتى بدت نواجذه [١].

إخوتاه: علينا أن نُدرس أبناءنا هذه المناقب والدروس لكي تعلو همتهم في الجهاد وألا يخشوا إلا اللَّه، بل إنه ﷺ رأى الملائكة في يوم أحد قال: «رأيت رسول اللَّه ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد»[٢]، قال الحافظ: هما جبريل وميكائيل ، ولا تزال بحمد اللَّه الملائكة تنزل في حروب المسلمين مع اليهود. . وللَّه المنة.

وانظر إلى وصايا عمر ﷺ في الحروب:

يوصي سعد بن مالك الزهري: «إني قد وليتك حرب العراق، فاحفظ وصيتي فإنك تقدم على أمر شديد كريه، لا يخلص منه إلا الحق، فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح به، واعلم أن لكل عدة عتادا، وعتاد الخير الصبر، فاصبر على ما أصابك»[٣] .

واسمع أخبار سعد بن أبي وقاص ﷺ في (القادسية) لقد نظم الجيش وعبأه للحرب، وجعل على كل عشرة رجال عريفًا، وأمر على الرايات رجالًا، وعمل مقدمات وطلائع ومشاة وفرسان، وعيَّن وعظ، وعيَّن مترجمًا يجيد الفارسية، وأرسل إلى

(١) مسام ٢٤٢.
(٢) البخاري ٧/ ٤١٤.
(٣) تاريخ الطبري.

كسرى وإلى رستم إما الإسلام أو الجزية أو السيف، وبعث ذوي الرأي والعقل والنجدة إلى الناس ليحرضوهم على القتال وكأن هذا في زماننا (الفضائيات ودروس العلماء والمشايخ) وأمر سعد ﷺ بقراءة سورة الجهاد (الأنفال) ، ثم أمر مناديًا أن ينادي «ألا إن الجسد لا يحل إلا على الجهاد في أمر اللَّه يأيها الناس فتحاسدوا وتغايروا على الجهاد».

إذًا لابد للحرب والجهاد إخوة الإسلام من أصول وترتيب وإعداد، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [التوبة]، ليس الأمر بأن يفتح باب الجهاد وانتهى الأمر ليس الأمر فوضويًّا، اللَّه قال «أعدوا» فلابد من الإعداد وقبل ذلك إعداد القلوب كما قلت آنفًا (صناعة الرجال) قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾ [التوبة].

ثم بعد هذا الإعداد، تداهم الأمراض سعدًا فيصاب بعرق النسا وبدماميل تمنعه من الركوب والجلوس فيعتلي القصر ويكب من فوقه على وسادة في صدره ويشرف على الناس، وأسفل منه في الميدان خليفته «خالد بن عرفطة» يرمي إليه من أعلى بالرقاع فيها أمره ونهيه ثم هو يخطب في الناس من على القصر: «إن اللَّه هو الحق لا شريك له في الملك وليس لقوله خلف، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء]، إن هذا ميراثكم وموعود ربكم وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج

(سنوات) فأنتم تطعمون منها وتأكلون منها وتقتلون أهلها وأنتم وجوه العرب وأعيانهم وخيار كل قبيلة وعز من وراءكم فإن تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع اللَّه لكم الدنيا والآخرة ولا يقرب ذلك أحدًا إلى أجله، وإن تفشلوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم وتوبقوا آخرتكم، ثم إني قد استخلفت عليكم خالد بن عرفطة وليس يمنعني أن أكون مكانه إلا وجعي فإني مكب على وجهي وشخصي لكم باد فاسمعوا له وأطيعوا فإنه إنما يأمركم بأمري ويعمل برأيي». ثم قال: «الزموا مواقفكم لا تحركوا شيئًا حتى تصلوا الظهر فإذا صليتم الظهر فإني مكبر تكبيرة فكبروا وشدوا شسع نعالكم واستعدوا واعلموا أن التكبير لم يعطه أحد قبلكم واعلموا أنما أعطيتموه تأييدًا لكم، فإذا كبرت الثانية فكبروا وتهيأوا ولتستتم عدتم، فإذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم الناس ليبرزوا ويطاردوا فإذا كبرت الرابعة فشدوا النواجذ على الأضراس واحملوا وازحفوا جميعًا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا لا حول ولا قوة إلا باللَّه».

وبعد ثلاثة أيام ونصف يوم تهاوى جنود الفرس كالذباب المترنح وتحطمت معهم الوثنية وعبادة النار! إن المسلمين لم يلقوا في جميع حروبهم باستثناء بلاط الشهداء في فرنسا مقاومة أعنف مما لقوا من الفرس في معركة القادسية، لقد صبر الفرس في هذه المعركة صبرًا عجيبًا وغير معهود منهم وخسر المسلمون في

القادسية أكثر من خمس وعشرين بالمائة من قواتهم.

واسمعوا أحبتي في اللَّه وارعوا الأسماع والقلوب لرسالة سعد رضي الله عنه إلى عمر رضي الله عنه يقول سعد: «أما بعد، فإن اللَّه نصرنا على أهل فارس ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم بعد قتال طويل وزلزال شديد وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراءون مثل زهائها فلم ينفعهم اللَّه بذلك بل سلبوه ونقله عنهم إلى المسلمين واتبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الآجام وفي الفجاج، وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارئ وفلان وفلان ورجال من المسلمين لا تعلمهم اللَّه بهم عالم، كانوا يدوون بالقرآن إذا جن الليل دوي النحل، وهم آساد الناس لا يشبههم الأسود ولم يفضل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشهادة إذ لم تكتب لهم»[1].

أمضى سعد شهرين في القادسية بعد المعركة ثم كتب إليه عمر رضي الله عنه بالمسير إلى المدائن عاصمة كسرى ولابد له من عبور النهر، وكان النهر عريضا طافحا بالماء وموجه متلاطم، وارتفعت مياهه ارتفاعا كبيرا، وفي ليلة من ليالي سعد رأى رؤيا أن خيول المسلمين اقتحمت مياه دجلة الهادرة وعبرت وقد أقبلت من المد بأمر عظيم، فصدق الرؤيا وعزم على عبور النهر فخطب في الناس أن يبادروا بجهادهم قبل أن تحاصرهم الدنيا وقد عزم على قطع هذا البحر

(١) تاريخ الطبري.

إليهم فقالوا جميعًا: عزم اللَّه لنا دلك على الرشد فافعل.

وفعلًا وكانت المفاجأة للفرس بأن عبر المسلمون إليهم، لقد عبروا نهرًا عمقه حوالي ستة أمتار تخوضه الخيول وعلى رأسها الفرسان يقاتلون، قال لهم سعد وهم يخوضون ليصلوا إلى شاطئ أسبانير: قولوا نستعين باللَّه ونتوكل عليه حسبنا اللَّه ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

حقًّا عباد اللَّه، إن سلاح النصر هو توحيد اللَّه تعالى، لقد اقتحم المسلمون نهر دجلة في أمن وأمان غريب من نوعه وكأنهم يسيرون على الأرض... يا سبحان اللَّه!!

وكان يرافق المعركة سلمان الفارسي، عامت بهم الخيول وسعد يقول: حسبنا اللَّه ونعم الوكيل واللَّه لينصرن اللَّه وليه وليظهرن اللَّه دينه وليهزمن اللَّه عدوه إن لم يكن الجيش بغيٌ أو ذنوب تغلب الحسنات.

يا اللَّه ما هذه الحكم أيها السعد السعيد! يا من أسعدت تاريخ أمتك ببطولاتك وجهادك بإذن ربك.. يا له من سعد!! قال سلمان: «الإسلام جديد، ذُللت لهم واللَّه البحور كما ذُلل لهم البر والذي نفسي بيده ليخرجن منه أفواجًا كما دخلوه أفواجًا»، وعبر المسلمون، لم يفقدوا شيئًا ولم يغرق منهم أحدًا إلا رجلًا من بارق يدعى «غرقدة».

سبحان اللَّه! أرأيت أن هذا الرجل له حظ من اسمه، لقد غرق

غرقدة غرق ورقد.

نظر جنود يزدجرد إلى هذا الخيل التي ملأت دجلة وجعلوا يرددون بالفارسية (ديون آمد) ويقولون: واللَّه ما تقاتلون الإنس إنما تقاتلون الجن.

وامتلأ النهر خيولًا وأبطالًا حتى ما يرى الماء من الشاطئ وخرجت الخيول لها صهيل فلما رأى القوم ذلك انطلقوا، وفزع يزدجرد ملك الفرس وما استطاع أن يخرج من باب قصره المطل على النهر «القصر الأبيض» وصدق رسول اللَّه ﷺ: «**عصبة من أمتي يفتحون البيت الأبيض بيت كسرى**»[1].

وهرب يزدجرد من الشرفات الخلفية لقصره في زنبيل ومعه ألف طباخ وألف فهاد وألف بازيار حتى خيولهم أصابها الرعب نصر لجند اللَّه حتى أن أحد خيولهم لا تستطيع الإقدام وتضرب للَّهروب فتتقاعس، حتى أن رجلا من رجال سعد لحقه وقتل صاحب هذا الخيل وأخذ الخيل.

ودخل سعد المدائن وانتهى إلى إيوان كسرى يقرأ قوله تعالى﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدخان] ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ . . . ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ . . حقًّا.

(١) رواه أحمد ومسلم.

فيا إخوة الإسلام، جددوا إيمانكم بقراءة تاريخ أجدادكم لتزدادوا إيمانا مع إيمانكم هذا هو الإسلام وهؤلاء هم سلفنا الصالح فجذورنا ممتدة في باطن التاريخ، نحن قوم لنا جذور وتاريخ وأصول. . . فكيف نتعلق بفروع الشرق أو فروع الغرب؟! كيف يا أمة محمد ﷺ كيف يا أمة سعد وحمزة وخالد وعمر والقعقاع؟ كيف يا أمة البراء بن مالك وخباب وعمير ومصعب وعلي وطلحة وصهيب وعمار وجعفر وعمرو؟، لم نعطي الدنية في ديننا وقد أعزنا اللَّه بالإسلام؟!

فيا أمتي أفيقي وارفعي هامتك فأنت أمة محمد ﷺ توبي إلى اللَّه وعودي إليه عودًا حميدًا.

فنقول إن الفتوحات الإسلامية التي جرت في العراق وفي شرقه وشماله حتى سنة عشرين هجرية فتحها سعد بإذن اللَّه، لقد فتح سعد العراق، وأكثر بلاد فارس وأذربيجان والجزيرة وبعض أرمينية، أكثر إيران بحدودها اليوم، والقسم الجنوبي من تركيا وشمال إيران بجوار روسيا، ومصر الكوفة فكانت القاعدة الأمامية للفتح الإسلامي، هذه هي فتوحات سعد، والتي أسعدت العالم الإسلامي وإلى الآن. . فجزاه اللَّه خيرًا على ما قدم للإسلام والمسلمين.

ثم لنتساءل سويا أين سعد اليوم؟ أين الذين يمشون في حاجة أخوانهم بقلوبهم للَّه تعالى، لا أقول أين الذين يمشون على الماء،

أين من سارت وجرت دموعهم مدرارًا حزنًا على آلام المسلمين في بقاع الأرض؟ أين الذين فتحوا القلوب للَّه بسلوكهم وأخلاقهم وسمتهم. . .؟! ولكني أقول أن الخير موجود في هذه الأمة إلى يوم الدين. . . فأسأل اللَّه أن يفجر ينابيع الخير فيها.

واسمع ماذا قال عمرو بن معد يكرب فارس اليمن عندما سأله عمر رضي الله عنه عن سعد، قال عمرو: سعد متواضع في خبائه، عربي في نمرته، يعني كسائه فيه الخطوط بيض سود تلبسه الأعراب، أسد في تامورة، يعني عرينه وبيته، يعدل في القضية ويقسم بالسوية، ويبعد في السرية، يعطف علينا عطف الأم البرة، وينقل إلينا حقنا نقل الذرة.

أرأينا عباد اللَّه؟ كيف يتحدث المسلم عن أخيه المسلم لا أقول الفارس عن الفارس لا، إنما أقول المسلم، تجدهم جميعا على قلب رجل واحد وهذا سر نصرهم، اتحادهم على الكلمة، كلمة التوحيد، مسلمون حقًّا وصدقًا وعدلًا. أرأينا صفات المسلم المجاهد في سبيل اللَّه، مسلم في قالبه وقلبه، مقدام شجاع لا يهاب ولا يخشى إلا اللَّه، بار رحيم أمين، يا لها من صفات ويا له من دين لو أن له أمثال عمرو وسعد! إي واللَّه إنهم لرجال.

إخوة الإسلام، حقيقة يعجز قلمي عن وصف هؤلاء القمم، فلا أملك إلا أن أسطر بعض من تاريخهم المشع المضيء كالشمس في رابعة النهار وكالنجوم في دياجير الليل، هاهو سعد تراه

جبلا شامخا في الفتنة التي وقعت بين علي ومعاوية ﷺ، اعتزل سعد ﷺ وقال: ما أزعم أني بقميصي هذا أحق مني بالخلافة، جاهدت وأنا أعرف بالجهاد ولا أنجع نفسي إن كان رجلا خيرًا مني، (لا أقاتل حتى يأتوني بسيف له عينان ولسان فيقول: هذا مؤمن وهذا كافر)، إنها حكمة سعد رجل ذو بصيرة وعقل راجح، وكان شعاره حديث رسول اللَّه ﷺ «**إن اللَّه يحب الغني الخفي التقي**»[1]، وعن حسين بن خارجة الأشجعي قال: لما قتل عثمان أشكلت علي الفتنة فقلت: اللَّهم أرني من الحق أمرًا أتمسك به، فرأيت في النوم الدنيا والآخرة بينهما حائط فهبطتُ الحائط، فإذا بنفر، فقالوا نحن الملائكة، قلت فأين الشهداء؟ قالوا: اصعد الدرجات، فصعدت درجة ثم درجة فإذا محمد وإبراهيم صلى اللَّه عليهما وسلم وإذا محمد يقول لإبراهيم عليه السلام: استغفر لأمتي، قال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم أهراقوا دماءهم وقتلوا إمامهم ألا فعلوا كما فعل خليلي سعد فقصها على سعد وكان فرحًا بها ثم قال: قد خاب من لم يكن إبراهيم عليه السلام خليله. قلت: مع أي الطائفتين؟ قال: ما أنا مع أحد منهما، قلت: أنت فما تأمرني؟ قال: هل لك من غنم؟ قلت: لا قال: فاشتر غنمًا فكن فيها حتى تنجلي[2].

---

(١) حديث حسن.

(٢) قال الأرنؤوط رجاله ثقات أخرجه الحاكم ٣/ ٥٠١-٥٠٢.

هكذا كانوا يفرون من الفتن، فكيف بزمان يبحث فيه الناس عن الفتن؟! رضي اللَّه عن سعد، يقول له ابنه عمر: يا أبت أرضيت أن تكون أعرابيًّا في غنمك و الناس يتنازعون في الملك بالمدينة؟ فضرب صدر عمر وقال: اسكت فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن اللَّه يحب العبد التقي الغني الخفي**»[1]، كان رضي الله عنه زاهدًا في الملك والرياسة والإمارة، كان لا يريد إلا الدار الآخرة.

وانظر إليه رضي الله عنه رغم أنه اعتزل الفتن لكنه يرد غيبة أخيه المسلم، فلا تناقض بين هذا وذاك لكنه حق المسلم على المسلم، عن قيس بن أبي حازم قال: كنت بالمدينة فبينا أنا أطوف في السوق إذ بلغت أحجار الزيت فرأيت قومًا مجتمعين على فارس قد ركب دابة وهو يشتم (عليّ بن أبي طالب) والناس وقوف حواليه إذ أقبل (سعد) فوقف عليهم فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل يشتم عليّ، فتقدم سعد حتى أفرجوا له حتى وقف عليه فقال: يا هذا علام تشتم عليًّا؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول اللَّه ﷺ؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلى الناس؟ ألم يكن ختن رسول اللَّه على ابنته؟ ألم يكن صاحب راية رسول اللَّه في غزواته؟ ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللَّهم إن هذا يشتم وليًّا من أوليائك فلا تفرق الجمع حتى تريهم قدرتك، قال قيس: فواللَّه ما

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك إسناده حسن ٣/ ٤٩٩.

تفرقنا حتى ساخت به دابته فرمته على هامته في تلك الأحجار فانفلق دماغه ومات[١].

ومثل هذا ما وجده (معاذ بن جبل) حينما سمع أن بعض الناس يأخذون على (أبي عبيدة بن الجراح) تريثه الشديد قبل الإقدام على خوض معركة من معاركه، بعضهم استعجز أبا عبيدة أيام حصار دمشق ورجح خالد بن الوليد ، ماذا فعل معاذ؟ قال معاذ: أبأبي عبيدة يُظن؟ واللَّه إنه لمن خير من يمشي على الأرض؟[٢]، اللَّه أكبر . . . من هنا يأتي النصر . . . أمة واحدة بلا انقسام، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ فالفرقة سبيل الشيطان ومفتاح الهزيمة ثم إن المسلم ينتصر على نفسه وعلى شيطانه بنصر أخيه المسلم ورد غيبته فينتصر بالتالي على عدوه بإذن اللَّه . . . ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ .

وفي هذا دروس جمة:

١) إن عامة الناس قد يجتمعون على الباطل.

٢) كثير من الناس لا ينتهون عن المنكر.

٣) بيان فضل واستحباب ذكر حسنات الرجل الصالح.

٤) استحباب استقبال القبلة عند الدعاء.

---

(١) أخرجه الحاكم ٣/ ٤٩٩.

(٢) الإصابة.

٥) بيان أن سعد مستجاب الدعاء. . . ففي رواية مصعب بن سعد أن سعدا أعتق نسمة[١]. . . حينما انفلقت دماغ الرجل.

٦) لا يستحب الدعاء على الغير فقد يكون في هذا قتله بل يستحب الدعاء له بالهداية وقول حسبنا اللَّه ونعم الوكيل.

انظر إلى رجل يقول في موته لابنه مصعب وهو يبكي لموته: «يا بني لا تبك فإن اللَّه لا يعذبني أبدًا، وإني من أهل الجنة»[٢].

إنه سعد بن أبي وقاص ﷺ الذي دعا بجبة صوف كان قد جاهد فيها المشركين في يوم بدر، قال: كفنوني فيها فإني لقيت المشركين فيها يوم بدر، وإنما خبأتها لهذا اليوم.

ومن هنا فائدة: يستحب فعل هذا لأن كل شيء شاهد ومشهود فهذه الجبة تشهد له يوم القيامة إن شاء اللَّه.

ويزف إلى الجنة قائد آخر، مقدام مغوار أسعده اللَّه بالجهاد في سبيله هو(سعيد بن زيد)، كان سعيد بن زيد ﷺ هو من أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو قائد الفرسان يوم أجنادين، فلقد رمى الروم المسلمين بالنشاب فصاح سعيد بن زيد بخالد قائلًا: علام نستهدف بهؤلاء الأعلاج وقد رشقونا بالنشاب حتى شمست الخيل؟! وشمست حتى إن الخيل امتنعت ظهورها عن الركوب وحارب

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك.
(٢) طبقات ابن سعد / السير للذهبي.

المسلمون وانتصروا على الروم لدرجة أن قائد الروم لما رأى من قتال المسلمين قال للروم: لفوا رأسي بثوب، قالوا: لمَ؟ قال: يوم البئيس، لا أحب أن أراه، ما رأيت في الدنيا يومًا أشد من هذا. فاحتز المسلمون رأسه وإنه لملفوف [1]... اليوم يُدرج المسلم في ملابسه ليذبح أمام مرئى ومسمع العالم ولا مغيث ولا معين من البشر، يحتزون دينه قبل رأسه، ولا أحد يعيب عليهم وكيف يعاب عليهم وبني جنسه من جلدته يبيعونه بثمن بخس دراهم معدودة!!

وانظر إلى أسد اليرموك (سعيد بن زيد)، قال سعيد بن عمرو بن نُفيل: لما كان يوم اليرموك كنا أربعًا وعشرين ألفًا أو نحوًا من ذلك، فخرجت الروم بعشرين ومائة ألف، وأقبلوا علينا بخطى ثقيلة كأنهم الجبال تحركها أيدٍ خفية وسار أمامهم الأساقفة والبطارقة والقسيسون يحملون الصلبان وهم يجهرون بالصلوات، فيرددها الجيش ولهم هزيم كهزيم الرعد، فلما رآهم المسلمون على حالهم هذه، هالتهم كثرتهم وخالط قلوبهم شيء من خوفهم، عند ذلك قام (أبو عبيدة بن الجراح) يحض المسلمين على القتال فقال: عباد اللَّه انصروا اللَّه ينصركم ويثبت أقدامكم عباد اللَّه اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار، وأشرعوا الرماح، واستتروا بالتروس والزموا الصمت إلا من ذكر اللَّه ﷻ في أنفسكم حتى آمركم إن شاء اللَّه. قال سعيد: عند ذلك خرج (رجل) من

(١) الطبري عن ابن إسحاق.

صفوف المسلمين وقال لأبي عبيدة: إني أزمعتُ -أي عزمت- على أن أقضي أمري الساعة فهل لك من رسالة تبعث بها إلى رسول اللَّه ﷺ؟ فقال أبو عبيدة: نعم تقرئه مني ومن المسلمين السلام وتقول له: يا رسول اللَّه، إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا. فقال سعيد: فما إن سمعت كلامه ورأيته يمتشق حسامه ويمضي إلى لقاء أعداء اللَّه حتى اقتحمت إلى الأرض وجثوت على ركبتي وأشرعت رمحي، وطعنت أول فارس أقبل علينا ثم وثبت على العدو، وقد انتزع اللَّه كل ما في قلبي من الخوف فثار الناس في وجوه الروم ومازالوا يقاتلونهم حتى كتب اللَّه للمؤمنين النصر.

ونستفيد أن هذه الأمة قد يُحييها اللَّه برجل واحد له صفات الرجولة، مخلص وصادق مع اللَّه. .يقوم للَّه تعالى فيقوم معه كل من حوله بإذن اللَّه، لابد من إيجاد رجل لابد من تربية رجل، لابد من البحث عن رجل، رجل تنهض به الأمة، ثم إن الرجل هذا عنده يقين عالي جدًّا باللَّه، عنده إيمان بالغيب، بلغ به أنه يبلغ رسالته لأبي عبيدة قبل أن يخترق صفوف الروم.

وهنا نلمح فائدة هي من طبيعة البشر، أن الناس دائمًا وأبدًا ينتظرون رجل قدوة، يقدم نفسه أولًا، رجل يبدأ الطريق بخطوة، رجل يقودهم ويمسك الراية. . هذه جبلتهم التي جبلوا عليها فإن ذكرتهم ذكروا وإن تغافلت عنهم نسوا وتناسوا. . فاللَّه اللَّه في إيجاد وصُنع القدوة من الرجال والنساء، ولذلك تجد أن الصحابة

كانت تقول: إذا حمى الوطيس احتمينا برسول اللَّه ﷺ، احتمى الناس بقائدهم، بقدوتهم لابد من قوة رجل، لابد من قدوة، إمام حكيم، قال تعالى: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ وما علمتُ قدوة للناس أجمعين سوى رسول اللَّه ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم.

وانظر إلى سر نجاح الصحابة رضي الله عنهم ونصرهم على الأعداء عندما أعاد عمر رضي الله عنه أبو عبيدة بن الجراح أمين الأمة إلى قيادة الشام بعد وفاة أبي بكر، وعين خالدا بدلا عنه في جند حمص .. صلى أبو عبيدة خلف خالد وكتم عنه هذا السر بأنه أصبح قائدًا، فلما انتهت الصلاة وانتهت المعركة- حصار دمشق- أقبل خالد على أبي عبيدة قائلًا له: يغفر اللَّه لك، أتاك كتاب أمير المؤمنين بالولاية فلم تعلمني وأنت تصلي خلفي والسلطان سلطانك؟! فقال أبو عبيدة: «وأنت يغفر اللَّه لك، ما كنت أُعلمك ذلك حتى تعلمه من عند غيري، وما كنت لأكسر عليك حربك حتى ينقضي ذلك كله، ثم قد كنت أُعلمك إن شاء اللَّه، وما سلطان الدنيا أريد، وما للدنيا أعمل، وأن ما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن إخوان وقوام بأمر اللَّه عز وجل، وما يضر (الرجل) أن يلي عليه أخوه في دينه، بل يعلم الوالي أنه يكاد يكون أدناهما إلى الفتنة، وأوقعهما في الخطيئة، لما يعرض من الهلكة إلا من عصم اللَّه عز وجل وقليل ما هم»، ويوم أن شعر أبو عبيدة بأن الناس يفتنون بقوته وأمانته قال: «يأيها الناس.... إني مسلم من قريش وما منكم من أحد أحمر

ولا أسود يفضلني بتقول إلا وددت أني في إهابه أو مسلاخه[١]».

انظر الآن إلى تناحر الناس على السلطان والمناصب والجاه إلا من رحم اللَّه وكأنما خُلقوا لذلك، وكأن الناس لن يموتوا وكأن من قبلهم لم يمت! تنازع وشقاق وخصام ومعاداة، يضرب أحدهما عنق أخيه في عقر داره دون أدنى مبالاة... وترى الآخر يتحايل على قتل أخيه الذي من جلدته وكأن لا آخرة ولا حساب، يتفاخر هذا بسلطانه وهذا بماله، وهذا بمنصبه وكرسيه، وتناسى بعض الناس ما هم مقبلين عليه من أخطار وأهوال! بل إن بعضهم يوالون أعداء اللَّه على إخوانهم من المسلمين وما الأمس منا ببعيد!! ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم!! لكن سلفنا الصالح كان الواحد منهم يؤثر أخيه على نفسه في كل شيء، بل يؤثر دين محمد ﷺ على نفسه وماله وأهله والناس أجمعين، يأتي خالد بن سعيد (يجهز بأفضل العُدة) إلى أبي بكر قائلًا: «إني أشهدكم أني وإخوتي وفتياني ومن أطاعني من أهلي حبيس في سبيل اللَّه نقاتل المشركين أبدا حتى يهلكهم اللَّه أو نموت عن آخرنا».. إذًا فالمرء بإخوانه ويد اللَّه على الجماعة ولابد لهم من عُدة، لابد له من مال، من سلاح، من طعام، من مأوى، من قائد له (راية الإسلام) يقاتل تحتها جميع المسلمين فالمسلم فقط لا يقول افتح لنا باب الجهاد لنجاهد.. نعم تجاهد لكن كيف؟ وأين عدتك، وأين استعدادك؟ وأين أولادك؟

(١) مسلاخه: جلده.

وأين أهلك؟ وأين قائدك وتوحيد رايتك؟ فالجهاد ليس كلمة ونحن على الآسرة نأكل ونشرب ونلهو ونمرح.. إنما الجهاد من الجهد والمشقة والعدة.. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾.

إخوتاه: ومن إعداد العدة العُدة أن تعرف من تقاتل؟ من عدوك؟ ما هو تاريخه؟ وماذا قال اللَّه عنه؟ وما النصر وما السبيل إليه؟ ومن الفئة التي ستخرج معك؟ ولابد أن تعرف الفئة المثبطة لك.. قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة].

وهكذا نستخرج الدروس والعبر من سير سلفنا الصالح لنمضي خلفهم على الطريق عسى اللَّه أن يلحقنا بهم ويجمعنا وإياهم مع سيد المرسلين ﷺ، إنه أبو عبيدة الصحابي الجليل الذي كان يتفقد رعيته في خيامهم قائلًا لهم: «ألا رُبَّ مبيضٍ لثيابه وهو مدنس لدينه، ألا رُبَّ مكرم لنفسه وهو لها مهين غدا! ادفعوا السيئات القديمات بالحسنات الحادثات»[1].

إخوة الإسلام: انظروا إلى رسائلهم في الجهاد كيف كانت لغتهم؟ كيف كان دينهم وهمتهم وفقههم: فعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: بلغ عمر أن أبا عبيدة حُصر بالشام ونال منه العدو، فكتب إليه

(١) صلاح الأمة بعلو الهمة، د/ سيد حسين (بتصرف).

(عمر) أما بعد، فإنه ما نزل بعبد مؤمن شدة إلا جعل اللَّه بعدها فرجا وإنه لا يغلب عسر يُسرين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران]، قال: فكتب إليه (أبو عبيدة): أما بعد فإن اللَّه يقول: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد]، فخرج عمر بكتابه فقرأه على المنبر فقال: «يا أهل المدينة إنما يعَّرض بكم أبو عبيدة أو بي ارغبوا في الجهاد»[1] وفي رواية أن عمر ﷺ قال: اذهب بنا إلى منزلك يا أبا عبيدة، فقال له: وما تصنع عندي يا أمير المؤمنين؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك عليّ! ودخل عمر فلم ير في البيت شيئًا، فقال: أين متاعك؟ لا أرى إلا لبدًا وصحفة وشنًّا وأنت أمير! أعندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلى جونة فأخذ منها كسيرات فبكى عمر، فقال له أبو عبيدة: إنك ستعصر عينيك عليَّ يا أمير المؤمنين! يكفيك من الزاد ما بلغك المحل! فقال عمر: غيّرتنا الدنيا غيرك يا أبا عبيدة.

إخوتاه: تلاحظون أن أمير المؤمنين يتابع الأمراء على الثغور حتى إنه ليصل إلى منازلهم لا شكًّا فيهم فهم عدول وأهل ثقة إنما لثقل الأمانة التي في جذر قلوبهم يتابعهم، ثم إنهم يعلمون خلف

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي.

هذه الأمة، أن أمير القوات الفاتح للبلاد بإذن اللَّه لا يرسل أموالا لا للشرق ولا للغرب وليس له في البورصات العالمية أدنى رصيد يُذكر، لا ضيعات، لا فنادق، لا أراضي، لا سفن لا طائرات، لا مساكن ليس ثمة شيء إلا ما يقيم به حياته، لبدا وصحفة[١] وشنًّا[٢] وجونة[٣] وكسرات خبز، ولما حدث الطاعون أرسل عمر إلى أبي عبيدة إنه عرضت لي حاجة ولا غنى بي عنك فيها فعجل إليَّ، فلما قرأ الكتاب قال: عرفت حاجة أمير المؤمنين إنه يريد أن يستبقي ما ليس بباق، فكتب إليه: «إني قد عرفت حاجتك فحللني من عزيمتك فإني في جند من أجناد المسلمين لا أرغب بنفسي عنهم»، فلما قرأ عمر الكتاب بكى فقيل له مات أبو عبيدة؟ قال: لا وكأن قد؟ وبعد ذلك توفي أبو عبيدة رضي الله عنه[٤].

وهاهي فلسطين بين الأمس واليوم، بالأمس يفتح أبو عبيدة رضي الله عنه بيت المقدس ويأتي عمر رضي الله عنه ليتسلم مفاتيح بيت المقدس، ويفتح بيت المقدس، والسؤال هنا: هل فتحنا بيت المقدس ليتهاون بعض المسلمين في حقه اليوم؟ وهل فتحنا فلسطين ليتخاذل عنها العالم الإسلامي؟ هل فتحنا فلسطين ليتآمر عليها العملاء

(١) الصحفة: الصحن.
(٢) الشنة: القربة.
(٣) الجونة: السلة.
(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي.

المنافقين؟!

لابد للخلف أن يحفظوا العهد ويحملوا الأمانة بصدق للَّه رب العالمين، لابد لهم أن يكملوا المسيرة مسيرة الجهاد والشرف والعزة. .أسأل اللَّه أن ينصر الإسلام والمسلمين .

* * *

زحف العصر

وها أنا أواصل بإذن اللَّه تعالى سيرة صحابة النبي محمد ﷺ، تلكم المجموعة التي نشأت من جزيرة العرب ولم يكن لهم فلسفة اليونان، ولا مدنية الرومان، ولا حكمة الهند، ولا صنعة الصين، تملك الدنيا بزمامها وترث ملك الأكاسرة وتحطم إمبراطورية القياصرة، وتنشر الإسلام في ربوع المعمورة في أقل من ربع قرن من الزمان. . . ونسأل اللَّه أن يجعل سيرتهم لنا نورا نمضي به إلى جنات عرضها السماوات والأرض أعدها اللَّه للمتقين.

وبدايةً أزف البشرى للمسلمين المجاهدين في سبيل اللَّه تعالى بكل أنواع الجهاد والهجرة قال ﷺ: «**عبادة في الهرج كهجرة إليَّ**»، وروى الحاكم والبيهقي عن ابن عمرو وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٦) قال ﷺ: أتعلم؟ «**أول زمرة تدخل الجنة من أمتي فقراء المهاجرين يأتون يوم القيامة إلى باب الجنة ويستفتحون فيقول لهم الخزنة: أو قد حوسبتم؟ قالوا: بأي شيء نحاسب وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل اللَّه حتى متنا على ذلك**» هذا هو الشاهد.

فيا عبد اللَّه، لا تخلع لأمة الحرب حتى تلقى اللَّه، قال تعالى:

﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ واليقين هو الموت، ثم ماذا؟ «فيُفتح لهم فيقيلون فيها أربعين عامًا، قبل أن يدخلها الناس»....
هذه هي البشرى، فغمضة عين في الجنة فيها من النعيم ما فيها فما بالكم بأربعين عاما... ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ سبحان اللَّه، ونسأل اللَّه من فضله .... وفي رواية الإمام أحمد أن من صفاتهم: «... **الذين تسد بهم الثغور، وتُتقى به المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء**....»[1]، «وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل اللَّه حتى متنا على ذلك».

عبد اللَّه، ليكن سيفك جاهزًا، فكل ما تقع عليه عينيك فهو يحتاج إلى ضربة سيف، لأنك مسئول عنه وليس هناك مجالًا لأن يكون عبثًا، كل ما تسمعه أذناك وتراه عيناك وكل ما يمر بخاطرك، وكل ما يتفوه به لسانك، فأنت دائمًا في حاجة إلى عملية فصل ونزع هذا من ذاك، فانظر إلى القصاب بعد ذبحه للشاة، فهو ينزع أشياء عن أشياء فبعضها يؤكل وبعضها لا يؤكل، فالسيف هنا لتمييز ما طاب عما خبث، وما نفع عما ضر، فأنت مرابط دائمًا، الرباط لا ينفك عنك أبدًا، حتى في نومك، فسلط سيف الحق دائمًا، فما من شيء يأتيك إلا وعليه دخن، وفيه دخن.... فما الواجب عليك؟ ما دورك تجاه دخنه؟ ونريد أن تفسر ذلك شيئا ما، أقصد

(١) رواه الإمام أحمد٦٢٨٢.

لماذا قبلت كلمة الزور؟ لماذا تاجرت في الحرام؟ كيف فعلت هذه المرأة؟ لماذا تمشي وهي كاسية عارية؟ هذا الذي تزوج زواجًا عرفيا لماذا فعل هذا؟ هذا الذي زنا، وهذه التي سرقت وهذا الذي غش وخان واحتال و. . . و. . . . و. . . . ، كيف فعل هذا وهو هو الذي في الواقع لا يأكل إلا كل ما طاب من الطعام، وكل ما صُفيَ من الشراب وكان على مراده لا تشوبه شائبة!! هنا القضية فأين الحسم والسيف ؟ أين سيف الحق؟ أين سيف الشرع؟ أين سيف الضمير؟ أين سيف الواعظ الذي في القلب؟ أين . . . .؟ وأين. . . . .؟ أليس كان خالد سيف اللَّه وحمزة أسد اللَّه وعمر كان الفاروق رضي الله عنه ، صحابة رسول اللَّه ﷺ هؤلاء سيوفهم على عواتقهم في سبيل اللَّه حتى ماتوا على هذا، كل شيء يعرضونه على شرع اللَّه فإن وافق الشرع فعلوه وإن خالف تركوه وهكذا سيف الشرع، فهي قضية إن فعلت كذا فزت بكذا، كقول النبي ﷺ: «**ياسعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة**»، فشرط استجابة الدعوة طيب الطعام، إذًا أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة.

استنكار!

فالحاصل إن هناك بعض الناس يأكلون طعامًا نظيفًا وعلى مرادهم ثم يقولون سوءًا ويفعلون منكرا!! كيف أن العبد يشرب على مراده ثم يقول زورًا ويفعل سوءًا ويسمع خبثًا وخبيثًا ويرى حرامًا

وشرًّا؟! هنا الحساب، فالعبد هنا ينطبق عليه قول الحق ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف]، وهنا أتساءل كيف حال قلوب هؤلاء البشر؟

أما قلوب الذين سيوفهم على أعتاقهم، لهم سمات، علامات تدل على قلوبهم، فمن سمات قلوبهم أنه قلب لا يتشرب سريعًا إلا الإيمان، ليس قلبًا أسفنجيًّا يتشرب الفتن والمعاصي إنما هو قلب يحمل الأمانة قلب طاهر نظيف.

أما القلوب الغافلة أصحابها، فهي قلوب لا تحمل الأمانة فعن حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول اللَّه ﷺ قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر: حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال: «**ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كحجر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرًا وليس فيه شيء، ثم أخذ عصاه فدحرجها على رجله، فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان رجلًا أمينًا حتى يقال للرجل: ما أجلده ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ....**»[1].

(١) البخاري ومسلم.

إخوتاه، أما القلب السليم التقي النقي الخفي هو قلب ليس بين لحمة قلبه وبين الحق حجاب، فالحساب أصله إزالة الحجاب وقد أزاله بحمد اللَّه لذلك تجد فقراء المهاجرين يقولون: بأي شيء نحاسب؟ حقًّا على أي شيء يحاسبون؟ أليست هذه سيوفهم كانت على أعتاقهم كما قالوا؟! وأضيف أن سرعة الحساب مرتهنٌ بزوال الحجاب، والأحجبة كثيرة ومتنوعة على حسب تنوع القلوب، فمن الأحجبة من كان صلبًا حديدًا لا يذيبه إلا النار، ومن الأحجبة من كان رقيقًا عائقا فلا علاج له إلا الكي، ومن الأحجبة من كان حارًّا فلا علاج له إلا الزمهرير، ومن الأحجبة من ليس له دواء إلا سوائل كاوية، وبعضها لا تصلح بل لا ترفع إلا بشقٍ وترميم ومنها من لا تحتاج إلا البتر والقطع لا تنفع فيه جراحة ولا عملية ولا أشعة. . . . ولا جملة أدوية، بل إن الدواء عليه عمى !!.

إخوتاه، قلت إن من أنواع الأحجبة من كان حجابه على قلبه رقيقًا لكنه عائقًا وهذا القلب يخادع صاحبه هو ومن حوله! ولكن كيف هذا؟ أقول إنه يُهيأ للإنسان أن لا حجاب! لكن الحقيقة غير هذا، فالحجاب موجود ولكن حوله ضباب، دخن، تشويش، فلا رؤية ولا بصيرة . . . فيحسب العبد أنه على خير وأنَّى له هذا وقد كُسِيَ قلبه بالحجاب الخدَّاع، الماكر الذي لا يكاد يُرى إلا بالبصيرة، ولذلك نقول أن المؤمن لا يُرى إلا بنور من اللَّه، فهو يرى باللَّه، هذه هي البصيرة والتي من شروط إيجادها للعبد التقرب

إلى اللَّه بالنوافل: «..**كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به..**»، ومن الأحجبة من كان علاجها من قريب، ومن الأحجبة من كان علاجها من بعيد كمثل رياح السموم، ومن الأحجبة من كان علاجها بانصهار السوائل كالنحاس والرصاص وصُب هذا على موضع الداء.

وهناك أحجبة كثيفة سوداء طبقات فوق طبقات على القلوب سببت أمراض لا يُرجى منها بُرأ فصاحب هذا الحجاب خالد في النار، ليس له (عجب الذنب) لكي ينبت من جديد والمقصود هنا ليس إنبات الجسد فالمعلوم أنه ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء] إنما المقصود «عجب ذنب الإيمان» فصاحب هذا القلب عجب ذنب إيمانه قطع، استؤصل فلا إيمان له لا إسلام له لا عهد له لا أمانة لا أمن ولا أمان له، وليس نهر الحياة له لأنه استبدل الفاني بالباقي وعجلت له طيباته في الدنيا فلا شيء له لا عطاء له إلا العذاب الأليم، قال ﷺ: «**كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على اللَّه شراد البعير على أهله**»[1]، هذا القلب تداخلت فيه الحجب فوق الحجب كظلمات بعضها فوق بعض فجعلت فيها الصدأ فالصدأ يزحف ويزحف ويزحف والصدأ زاحف آكل كما يأكل الحديد فكيف يأكل الصدأ الحديد ولا يأكل القلب الذي هو من لحم ودم، كيف لا يُظلمه وينخر فيه ويجعله يتآكل فيفقد قياساته

(١) صحيح الجامع ٤٥٧٠.

الطبيعية ويضمر القلب وينزف ويتلاشى، أما القلب الذي يرجى برؤه فهذا بعد الحساب يوضع في نهر الحياة الذي فيه الشفاء لجميع الأسقام يربي فيه اللَّه ما انتقص من العبد نتيجة الآثام، إنه نهر الحياة.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان، فعمدوا إلى إحداهما كأنما أمروا بها فشربوا منها فأذهب ما في بطونهم من أذى وقذى وبأس، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تتغير أبشارهم بعدها أبدًا ولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان، ثم انتهوا إلى خزنة الجنة فقالوا: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين»[1]، هنا نبت الحياة الخالدة، عجب ذنب الإيمان ينبت من جديد لذلك الملائكة تنادي: تحيون فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تظعنون أبدا وتصحون فلا تمرضون أبدا، فرق بين ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح] وبين هذه النبتة قال تعالى﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ [النجم].

فأشهر سيفك يا عبد اللَّه، «وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل اللَّه حتى متنا»، نعم. أشهر سيفك يا عبد الحق والحق هو

(١) حادي الأرواح.

اللَّه والحق من اللَّه ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف] والحق هو شرع اللَّه على لسان رسول اللَّه ﷺ أخرج سيفك من غمده لمن يستحقه وحسب شرع اللَّه تعالى أخرج كلمة الحق من قلبك على لسانك، فأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، وأول السبعة الذين يظلهم اللَّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله «إمام عادل» وسبب عدله عالم رباني يقول الحق، أو هو نفسه عالم فقيه، فكلمته لها وزن لها بريق لها صولة وجولة، كلمته فرقان يفرق بها بين الحق والباطل، كلمته سيف مسلول، إنه عبد اللَّه إنه سيف اللَّه إنه أسد اللَّه إنه الفاروق، يا أهل سورة الفرقان! يا أهل سورة الأنفال! يا أهل سورة محمد! يا أهل سورة براءة! يا أهل سورة الأحزاب والبروج! يا سيوف اللَّه في الأرض!! أفيقوا، إنكم على الحق إنكم مسئولون فلا عبث ولا إهمال إنما هي أقدار قدرت لكم وأنتم على قدرة ومشيئة وكفاءة بإذن اللَّه، فلتغيروا الباطل في حدود ما وهبكم الوهاب من إمكانات وفي حدود ما شرع لكم اللَّه مع عدم إغفال سلاح الأمانة والصبر والتميز والحكمة والملكة والموهبة، فاعرضوا بضاعة الآخرة «عرض المحب» عرض المشتاق للجنة، المشتاق للَّه، غيروا طريقة الخطاب الديني طريقة العرض فأهل الباطل يعرضون باطلهم بطرق شتى وجذابة ومغرية ومفضية إلى قلوب الشباب ولا حول ولا قوة إلا باللَّه، عيب علينا أن نكون أصحاب حق ولا نستطيع أن نقدمه بلغة العصر ونحن مخاطبون بسورة قرآنية عظيمة الفوائد إن نحن فقهناها وعملنا بمعناها وأزلنا الغشاوة من على عقولنا وفكرنا

وقلوبنا قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء] وقال ﷺ: «**من يرد اللَّه به خيرًا يفقهه في الدين**»، اللَّهم فقهنا في الدين وعلمنا التأويل.

والسورة هي سورة «العصر» ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾.

(عصر- خسر- صبر) ما الخبر؟!

كل كلمة مكونة من ثلاثة حروف، والحرف المشترك بينهم حرف الراء، والراء من المعلوم أنها من حروف التكرير والجهر والاستفال والانفتاح، أما حرف الصاد ففيها صفير واستعلاء وإطباق وكأن كل عصر مطبق على ما فيه من أحداث وفتن ولكنها متكررة في كل عصر بأشكال مختلفة، أما الخاء ففيها رخاوة الطين الملتصق في الأرض في استفال وفيها انفتاح ولكن في انحدار، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام]، وأما الباء ففيها الشدة والقلقلة وكيف يكون الصبر بدون شدة وقلقلة؟ هذه بعض صفات الحروف في كلمات عصر وخسر وصبر.

ونستطيع أن نستخرج من كلمة «العصر» كلمة «صرع» والصرع مرض كما هو معروف ولكل عصر داؤه وأمراضه وفتنه، وكأن الخطاب: يا أصحاب كل عصر وزمن انتبهوا لنوعية أمراضكم

وعللكم فمثلكم مثل ما سبقكم من الأمم لكل داء دواء فابحثوا فالعلاج في منهج اللَّه الصالح لكل زمان ومكان إلى يوم الدين، ففي كل عصر «صرع» أي داء معين وليس المقصود داء واحد إنما هي أسقام متنوعة الأصول والأشكال والفروع.

والإنسان كل الإنسان «لفي» واللام لام التأكيد، و«في» تدل على أن الإنسان يداهمه عصره وزمانه ولا حيلة له في هذا الزمان وفساده، فالزمان كالدخان الطاغي الذي يداهم الإنسان بلا وعي منه زمن كله دخن فتن ظلمات شبهات شهوات مستحدثات إغراءات ومسميات نظريات فلسفات وعقليات مسخ وخسف وقذف، تجد أن الخطأ أمام الإنسان ولا يكاد يراه! إنها الحيرة التي تسبب خسر، وهنا الخسر إنما أتاه لأنه لم يبحث عن الحق ولا عن أهله وليته سكت برهة من الزمن ليتحسس الطريق ليرى ليبصر ليسأل ليعلم أو ليتعلم ليرى بصيصا من النور، وكأنه يخاطب سيفه الذي أخطأ الطريق: واللَّه لن أخرجك من غمدك حتى أرى لك عينان تبصران ولسان يقول هذا مؤمن وهذا كافر، أو هذا هو الحق فإن علم الحق كان هو الناجي.

إن علم الإنسان الحق ولم ينطق به يعني «خُرس» كان في «خُسر»، فالخسر لا يأتي إلا بعد بُكم اللسان واعتقاله عن قول الحق وانظر «خرس» و«خسر» انظر العلاقة بينهما!! لقد رسخ على الخرس!! فكان خسرانه شديد «خُسر»!!

وهذا الخسر يستثنى منه طائفة محددة بصفات مقننة حسب الشرع ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾، أربع مسوغات لكي يفوز الإنسان ولا يدخل في دائرة الخسر في كل زمان ومكان وإلى قيام الساعة إيمان ثم عمل صالح ثم تواصي بالحق ثم تواصي بالصبر.

والإنسان معلق بين عصره «زمانه» الذي يعيش فيه بين فوزه أو خسارته ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق].

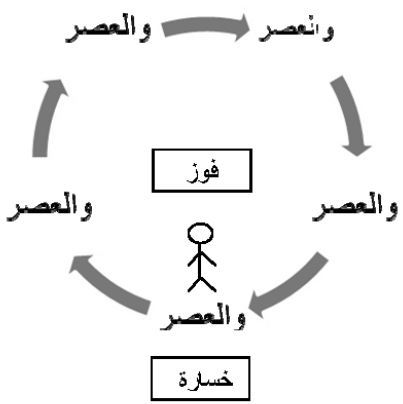

فإن آمن وعمل الصالحات وتواصى مع المؤمنين بالحق، وانظر إلى كلمة «الحق» واستخرج منها كلمة (حقل ولقاح)... يا اللَّه!! يا له من إعجاز لغوي فريد يدهش العقل!

«تواصوا» توحي بأنه عمل جماعي لا يمكن ويستحيل للعبد أن

يقوم به منفردا منعزلا لأن الإسلام دين عالمي، وانظر إليهم وهم يدخلون أبواب الجنة هل تراهم فرادى فرد فرد؟ لا إنما تراهم زمرا جماعات جماعات، قال تعالى﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر]، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفًا أو سبعمائة ألف متماسكون آخذ بعضهم بيد بعض لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر**»(١)، فقول الحق «وتواصوا بالحق».

نستخرج من كلمة الحق (حقل ولقاح) فالعمل في البستان عمل جماعي تراهم يحفرون الأرض وينظفونها ويحرثونها ويأتوا بالآلات والمعدات والعمال والمياه والبذور ويعملون على ريها وبذر البذور فيها وتنقيتها من الحشائش والآفات وتغطية وكسوة بعض الثمار ورفع عمود خشبي وسط البستان وكأنه حارس للزرع والريحان ثم حصد وتجميع وحمل على العربات وبيع وشراء وهكذا، أعمال وأعمال تحتاج إلى مجموعة مؤمنة عاملة عمل الإيمان فيها عمله فقامت مع أفرادها من المؤمنين العاملين لتبذر بذور الثمار في البستان وهذا يحتاج إلى صبر، صبر على أعمال الزراعة وما تحتاجه فإن لم يبذروا في الحقل لقاح الثمار ويصبروا، أتى البستان الآفات والأمراض والسموم، واستخرج من الصبر كلمة «برص» وهو مرض فالصبر علاج وعدم الصبر مرض، وقلنا أن

(١) صحيح الجامع ٥٣٦٥.

كل عصر له آفة ومرض واستخرجنا من كلمة عصر «صرع» والصبر علاج له.

إذًا فعلاج كل عصر في الإيمان والعمل الصالح وبذر لقاح الإيمان في قلوب المسلمين وغيرهم «وتواصوا بالحق» ثم الصبر على هذا البذر وإحاطته بالرعاية والولاية والسقيا وتنقيته وغربلته من الدغل والدخن، وإيتاء زكاته وقت حصاده، أي مداومة تزكية النفس باتقاء الشح والبخل ثم الصبر على الاستقامة التصبر والثبات على الصبر والمصابرة والمثابرة لذلك يوصينا اللَّه تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران] لتعلم أن الإيمان عمل جماعي في بستان الإسلام فابذر يا عبد اللَّه بذور الإيمان في قلوب المسلمين وغيرهم وادع الناس إلى دين اللَّه واصبر على هذا والشرط هو «العصر» أي قدم الحق واعرضه عرضا شيقا جذابا جديدا حسب إمكانيات عصرك فلكل عصر طريقة وغرض، لا تتجمد لا تتحجر فكل ما حولك يتطور ولكن تطورنا وعرضنا لابد أن يحاط بسياج «الشرع» قال اللَّه وقال رسول اللَّه ﷺ بفهم سلف الأمة، ثم بفهم فقه الواقع الذي نعيشه ونخالطه بلا مغالطة وبلا مغالاة.

فيا عبد اللَّه لا تقدم الحل قبل العرض، اعرض قضيتك أولًا ثم اعرض الحل وهذه هي لغة القرآن تراها جلية في سورة العصر القضية هنا قضية الإنسان في عصره هو لا في عصر غيره انتبه

واحذر! ففي كل عصر يقسم به اللَّه تجد أن القاعدة العامة من البشر في خسر، واسمح لي بأن أقول هذا التشبيه للإيضاح: فأنت يا عبد اللَّه وسط هذا الزخم البشري الذي تعج به الأرض كالوردة وسط «القمامة» فكل ما حولك غريب عنك غريب عن أصلك عن فطرتك عن عقيدتك عن أجدادك من الرعيل الأول عن مبادئك وقيمك، فالأرض مهيأة للفساد أكثر من الإصلاح، وهذا بفعل الإنسان ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم]، واللَّه لا يريد من كل هذا الزخم إلا تلك الوردة اللَّه يريدك أنت يا عبد اللَّه يا مسلم.

هذا معنى «إن الإنسان (لفي) » لم يقل اللَّه «إن الإنسان (لإلى) خسر» إنما (لفي) زمان كله دخن، يداهمك دخنه وأنت في عقر دارك ولا حيلة لرده سوى الاعتصام باللَّه سبحانه وبشرعه المطهر، دخن وفتن يجعل الحليم حيران وهذه الحيرة قد تسبب الخسر ولا شك إن لم يوفق العبد من اللَّه، ماذا تفعل عندما تغلق أمامك الأبواب إنك لن تجد بابا واحدا مفتوحا لك سوى باب اللَّه.. يا اللَّه.

قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم] إي واللَّه ليس لها من دون اللَّه كاشفة.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ

فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ماذا قال ابنه؟ ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۛ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [هود] .

يا اللَّه أقول أحبتي في اللَّه، إن سورة العصر أجملت ما فسرته وخصصته سورة هود وغيرها، فسورة العصر لو لم يكن في القرآن كله سواها لكفت وشفت ووقت بإذن اللَّه فهي شافية واقية كافية جامعة إن تدبرها المؤمن الكيس الفطن، أقول آه لو خلي بين القلوب المؤمنة وبين القرآن لرأيت العجب العجاب فالقرآن كنز معاني وبحر حقائق ونهر جواهر ودرج زواهر وعالم علم ودقة نظم وجمال أسلوب وبهاء رونق وجميل بيان، ولم لا؟ وهو كلام

الرحيم الرحمن، فنحن في سفينة نوح سفينة الإيمان تجري من حولنا الفتن كقطع الليل المظلم ولسان الإيمان ينادي.

يا بني اركب معنا!!

يا ابنتي اركبي معنا!!

يا زوجتي اركبي معنا!!

يا جيراني اركبوا معنا!!

يا أهلنا اركبوا معنا!!

يا قومنا اركبوا معنا!!

فإن لم تركبوا فستكونوا مع الكافرين، فالناس إما فريق في الجنة أو فريق في السعير، لكن بعض هؤلاء وهم كثر قالوا: «سنأوي إلى أموالنا إلى ضيعاتنا إلى مراكبنا إلى أزواجنا وشركاتنا وإلى أولادنا إلى جاهنا وسلطاننا وأهواءنا و. . . . وإلى دنيانا»، ففي عصر نوح عليه السلام كانت الفتنة والابتلاء في الشرك فكان الطوفان في عصرنا كم من طوفان الآن يجتاح الأمة؟ طوفان المال طوفان الجاه طوفان السلطان والإمارة طوفان المرأة طوفان الذهب والفضة طوفان الأمراض والابتلاءات التي لم تكن من قبل طوفان زحف الأمم علينا طوفان بني جلدتنا علينا طوفان الغفلة طوفان الحرص والحقد والحسد والغل طوفان الهوى طوفان حب الأنا طوفان وطوفان. . . فكل إنسان اليوم إلا من رحم اللَّه يأوي إلى من يعصمه

ويحميه سواء مال أو ولد أو جاه على حسب زعمه وهواه ويظل الحال هكذا حتى تكون الفتن في أعلى منسوب لها في ذروة الدمار، عندها تتدخل السماء ويصدر الأمر الإلهي بانكشاف الغمة وينشق ضوء الفجر فإذا بفريق اعتصم باللَّه فنجا وكان من المؤمنين وله أهل من المؤمنين، أما الذين اختاروا العزلة عن منهج اللَّه واختاروا العزلة مع شياطينهم وهواهم فأصبحوا من الخاسرين عياذًا باللَّه، فلابد من الإيمان والعمل الصالح مع جماعة المسلمين الذين تواصوا بالحق وبالصبر.

فعلى أي شيء يحاسبون؟ بأي شيء تحاسب؟ الركعة ركعوها والسجدة سجدوها والوقفة وقفوها والحكمة قالوها والثغور سدوها والمكاره اتقوها وحاجتهم في صدورهم ما قضوها، فبأي شيء يحاسبوا؟!

هؤلاء هم أصحاب القلوب السليمة، القلوب التي لها أوزان معينة وأحجام معينة ودرجة حرارة مجددة لا محجوبة ولا ممنوعة ولا منقوصة ولا مقيدة ولا معكرة لا مشققة ولا منفوخة إنها قلوب مميزة لها ملامح خاصة قلوب إذا أتتها الأحداث شديدة واجهتها بالتقوى، وإذا جاءتها رخوة لينة واجهتها بالشدة، وإذا جاءتها سائلة واجهتها بالصلابة، وإذا جاءتها حادة واجهتها باللين، وإذا جاءتها باردة واجهتها بالدفء، وإذا جاءتها سريعة واجهتها بالبطء والتمهل، وإذا جاءتها بطيئة واجهتها بالإقدام والمسارعة.

«إنما الصبر عند الصدمة الأولى» هكذا حال المؤمن مع أحداث الدنيا المتقلبة ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن] واللَّه طالبنا بردود الفعل هذه من خلال العبادات فعلى سبيل المثال ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل]، فترتيل القرآن يعلمنا التؤدة والصبر واللين والتمهل والتحلية ، وعلمنا رسول اللَّه ﷺ إذا مشى العبد إلى بيت من بيوت اللَّه للصلاة فعليه بالسكينة والوقار.

والصوم فيه الصبر وخلق الإيثار والتشبيه بالملائكة والحج فيه النفقة والصبر والصلاة والطواف والسعي والشرب من زمزم والوقوف بعرفة والبيات في منى ثلاثة أيام والبيات في مزدلفة ليلة وطواف قدوم وإفاضة ووداع، فكل هذه الأعمال وغيرها ليعلمنا اللَّه معالجة الأحداث في الدنيا وكيفية مواجهة الابتلاءات مرة بالقوة، مرة بالسرعة، مرة باللين، مرة بالسكينة، مرة بالجوع، مرة بالركوع، مرة بالطواف، مرة بالسعي...مرات ومرات، مرة بالبيات مرة بالوقوف مرة بالشرب مرة بالصبر وهكذا وهكذا لكل قضية من قضايا الحياة عبادات وعلاجات وحلول وما شرعت هذه التكليفات والعبادات إلا لتهذيب وتعليم الإنسان، تدريب قلبه على جميع الأحوال وتوجيه قلبه إلى جميع الأجواء ليكون قلبا سليما معافى يصلح لدخول الجنة، وهذا هو المقصود بالقلب السليم وهذه الاتجاهات وهذه الأجواء والأحوال إنما هي شرائح القلب فقلب المؤمن يتضمن الجنة، الجنة التي عرضها السماوات

والأرض القلب يتسع لها يضمنها ينشرح لها وبها، فالقلب السليم به حرارة وبرودة ولين وصلابة وبه أبعاد ومسافات وأجواء، وبه شدة ورقة ورخاوة وحدة وفيه كرٌ وفرٌ إقدام وتأخر، فيه فرح وحرص وحذر وما الغزوات التي غزاها الرسول ﷺ وصحابته الكرام إلا لبيان شرائح القلب السليم بيان صفاته وسماته وهديه ودله فكل غزوة توضح مجموعة شرائح للقلب المسلم السليم.

فغزوة الأحزاب توضح لنا هل القلب استوعب خيانة الخائنين، وغزوة أحد توضح هل القلب استوعب مدى أهمية الأوامر، والوقوف والثبات لطلب الآخرة وعدم الإسراع إلى الدنيا وجمع حطامها؟! في غزوة مؤتة يمتحن القلب لقياس درجة إقدامه وسرعته، وهكذا ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام] وهذا مفهوم العصر وشرائح القلب.

وإن هذه الزمرة ما هي إلا أفراد كل فرد منهم يدفع الآخر يدفعه دفعا فيكون بعمله سندًا وله عونًا فهو شفاءٌ لعينه ورواءٌ لوجدانه وحافزا لإقدامه وهذا معنى جماعية الطاعة، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة] فهم أول زمرة إنهم جماعات، فالبناء لا يتم إلا بتكاتف المؤمنين معًا، إني رأيت أخي مشمرًا مقبلًا على اللَّه فأعانني على حالي بتشميره وكأن مجرد رؤيته تدفعني دفعًا، فمن الناس من إذا رأيته ذكرت اللَّه تعالى.

فالبناء ساتر، يحجز العبد عن الشيطان فهو له وقاية وحماية وقوة وستر ولا يتم العلو إلا بالبناء المتماسك لذلك قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران] فالكل منتفع بالبناء ولكن إذا تفرقت الأمة فلا بناء ولا انتفاع ولذلك مهمة الشيطان الكبرى بث الفرقة في صفوف الأمة فهو يفرق المرء عن أخيه والرجل عن امرأته.

أيضا نلاحظ التحفز والتشمير لأي «غارة» فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل اللَّه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل والموت مظانه...**»[1] إذا مثل أول زمرة يدخلون الجنة مثل هذ الرجل ثم إنهم أنهوا أمورهم بيسر وسهولة، فانظر إلى سعادتهم، فالأمر قد انقضى لدرجة اندهاش الملائكة: أوقد حوسبتم؟! تخيل مدى فرحهم وسرورهم بسرعة دخولهم الجنة وهذا يدل على سابق حياتهم حيث كثرة الأحزان والأعمال فإنهم جفى منهم النوم العيون ونسيت الشبع منهم البطون، فقد كانوا على قدم وساق، العين تنام ولا تنام القلوب، وكأن هناك «رادار» يرصد نبضات قلبه، وسرعة حركته فجهاز الاستقبال عنده جاهز الحركة يستقبل أي إغاثة أي نداء أي عمل للَّه تعالى، هو دائم التشمير واليقظة قلبه وقالبه دائم التوجه إلى اللَّه تعالى، كالحبيب ينتظر كلمة

(١) مسلم١٨٨٩ باب فضل الجهاد.

أو رسالة من حبيبه فإذا جاءته انتفض كالطائر يحلق بجناحيه ليضم رسالة حبيبه إلى قلبه، يقبلها يرددها، يشمها، ينفذ ما فيها يفرح بها ويفتخر ويريها من يحب.

فإذا كان هذا حال الرجل مع أخيه في اللَّه فكيف بحاله مع اللَّه.. فهو يلبي نداؤه ويجيب دعوته.. لبيك اللَّهم لبيك.. لبيك في أمري في حلي وترحالي في يقظتي ومنامي في فقري وغناي ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ولا يتم استمرارية البناء شامخًا عاليًا إلا باتباع رسول اللَّه ﷺ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران] فحب اللَّه يستلزم الزهد والزهد يستلزم الإقبال على الآخرة يستلزم حب لقاء اللَّه، ولو أحب لقاء اللَّه لفزع إليه وأسرع ولو أسرع لدهشت الملائكة من سرعة دخوله الجنة، لأنه لا حساب عليه هو من الزمرة الأولى، والزمرة تتطلب جماعية الطاعة، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا﴾ ﴿فَاسْتَبِقُوا﴾ ولم يقل اللَّه «سارع واستبق» فإلى المسارعين في الخيرات سلام سلام، وإلى النائمين المبطئين أسرعوا في القيام انهضوا قبل الظلام إلى النائمين المترددين لا تغرنكم الأنفاس إنها قطعت عن الكرام تعالوا نسابق ونفتح الباب حتى تعرف الأسباب، تعالوا نسابق الريح حتى نجاور الأحباب محمدًا ﷺ وآله والأصحاب.

«**فيفتح لهم فيقيلون فيها أربعين عامًا قبل أن يدخلها الناس**» استراحوا بعد تعب استظلوا بعد حرارة الشمس وحرارة العذاب

ارتووا بعد ظمأ طعموا بعد جوع استأنسوا بعد وحدة، رُحب بهم ورأوا القصور والدور والمساكن والأنهار والأشجار سبحوا في الأنهار وضحكوا ونعموا وفرحوا، وأربعين عاما تدل على مدى قيمة الوقت، حتى يتسابق المؤمن ويتنافس مع أخيه فالوقت له قيمة هنا وهناك ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين] ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج].

إخوتاه، اليوم نقدم مثالًا رائعًا في حمل الأمانة وحب الأمانة وحب رسول اللَّه ﷺ والحفاظ على الدين، إنه الغلام الذي لم يتجاوز العاشرة من عمره، لقد تغلغل الإيمان في قلبه ورسخت جذوره وارتفعت أغصانه حتى بلغت عنان السماء، نرى هذا الغلام في السنة التاسعة من الهجرة عندما عزم المسلمون غزو الروم في غزوة تبوك، يرى أن المسلمين يتسابقون في بذل المال والأرواح في سبيل اللَّه، لكنه وقف مع نفسه مندهشا عندما رأى الجلاس يكف يده عن الإنفاق رغم أنه يملك ثروة كبيرة! إنه صاحب البصيرة (عمير بن سعد رضي الله عنه) الذي قص على الجلاس أخبار الصحابة في الإنفاق والتسابق إلى الخير، قال الجلاس: «واللَّه لئن كان هذا الرجل صادقًا فيما يقول لنحن شر من الحمير»!! دهش عمير جدًّا عندما سمع هذا ورأى أن في السكوت عن الجلاس والتستر عليه خيانة للَّه ورسوله وإضرارا بالإسلام لكنه بين أمرين كلاهما مر فالجلاس هذا رباه يتيمًا واحتضنه مع أمه أغدق عليه من كل صنوف الخير، فهو زوج

أمه انظر ماذا يختار هذا الغلام وأيهما يفضل دينه أو زوج أمه؟؟

قال عمير: «واللَّه يا جلاس ما كان على ظهر الأرض أحد بعد محمد بن عبد اللَّه أحب إلي منك فأنت آثر الناس عندي وأجلهم يدًا عليَّ ولقد قلت مقالة إن ذكرتها فضحتك وإن أخفيتها خنت أمانتي وأهلكت نفسي وديني وقد عزمت على أن أمضي إلى رسول اللَّه ﷺ وأخبره بما قلت، فكن على بينة من أمرك»، وفعلًا مضى عمير إلى رسول اللَّه ﷺ ليخبره عن أمر الجلاس بن سويد واستدعى النبي ﷺ الجلاس وقال له: ما مقالة سمعها منك عمير بن سعد؟ فقال الجلاس: كذب علي يا رسول اللَّه وافترى فما تفوهت شيء من ذلك والتفت رسول للَّه ﷺ إلى عمير فرأى وجهه قد احتقن بالدم والدموع تنحدر مدرارًا من عينيه وهو يقول: «اللَّهم أنزل على نبيك بيان ما تكلمت به» فقال الجلاس: إن ما ذكرته لك يا رسول اللَّه هو الحق وإن شئت تحالفنا بين يديك وإني أحلف باللَّه أني ما قلت شيئًا مما نقله لك عمير، فما إن انتهى من حلفه وأخذت عيون الناس تتنقل عنه إلى عمير بن سعد حتى غشيت رسول الله ﷺ السكينة فعرف الصحابة أنه الوحي فلزموا أماكنهم وسكنت جوارحهم ولاذوا بالصمت وتعلقت أبصارهم بالنبي ﷺ، ولك أن تتصور أنها ليست محكمة فيها قاضي سيقول كلمة الفصل وأن هناك المستشارون والمحاميون والنواب وبقية القضاة وأن هناك رجل سيقول بقوة «محكمة» لا . . . إن الذي سيعلن حكم اللَّه تعالى هو

رسول اللَّه ﷺ وإن الحضور هم صحابته رضي الله عنهم وإن المتهم صحابي صغير عمره لا يتجاوز العاشرة هذا هو «المدعي عليه» أما الذي يدعي ويزعم أن عمير كاذبا هو الجلاس هو المدعي.

ولكنها محكمة اللَّه في الأرض وفي السماء شعارها «لا ظلم اليوم»، وظل الجميع كذلك حتى سُري عن رسول اللَّه ﷺ فتلا قوله جل وعلا: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة] فارتعد الجلاس من هول ما سمع وكاد ينعقد لسانه من الجزع ثم التفت إلى رسول اللَّه ﷺ وقال: بل أتوب يا رسول اللَّه بل أتوب صدق عمير يا رسول اللَّه وكنت من الكاذبين أسأل اللَّه أن يتقبل توبتي، جعلت فداك يا رسول اللَّه، وهنا توجه الرسول صلوات ربي عليه إلى الفتى الذكي النقي التقي عمير بن سعد فإذا الدموع دموع الفرح تبلل وجهه المشرق بنور الإيمان فمد الرسول يده إلى أذنه وأمسكها برفق وقال: «**وفَّت أذنك يا غلام ما سمعت وصدَّقك ربك**» وعاد الجلاس إلى حظيرة الإسلام وحسن إسلامه وكان يقول كلما ذكر عمير: جزاه اللَّه عني خيرًا فقد أنقذني من الكفر وأعتق رقبتي من النار[1].

(١) صور من حياة الصحابة.

يا لها من أخلاق ويا له من فتى هذا هو الشاب الذي نشأ في طاعة اللَّه يختار اللَّه ورسوله ولا يقدم عليهما أحدًا أبدًا مهما يكن الثمن، مهما تكن الإغراءات، مهما تكن العطايا والمنح والرشوة، مهما يكن الكرسي والأرباح والمنصب والجاه، هذا الفتى المحب للَّه ولرسوله ﷺ إنه عبد اللَّه لا يعبد إلا اللَّه لا يشرك مع اللَّه شيئا انظر إليه وهو يقول للجلاس: «وإن أخفيتها خنت أمانتي وأهلكت نفسي وديني...».

فيا كثرة الخونة اليوم والعملاء والمنافقين وهم كثر لا كثرهم اللَّه، هم في كل مكان وزمان الواحد منهم له أكثر من وجه له أكثر من لسان ولغة!! هؤلاء الذين قال اللَّه عنهم: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ .

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ .

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ .

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ .

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾ .

وهكذا أخبارهم، وهكذا فضحوا وكشف اللَّه أسرارهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم اللَّه.

إخوتاه، ارجعوا معي إلى هذا النور الذي سطر على جبين التاريخ، لما ولي عمر رضي الله عنه عمير بن سعد والي على حمص، استهل عمير إمارته قائلا: «ألا إن الإسلام حائط منيع وباب وثيق فحائط الإسلام العدل وبابه الحق فإذا نقض الحائط وحطم الباب استفتح الإسلام فلا يزال الإسلام منيعًا ما اشتد السلطان وليس شدة السلطان قتلًا بالسيف ولا ضربًا بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذًا بالعدل»[1].

(١) الطبقات لابن سعد.

وتعجبوا إخوتاه أشد العجب من عمير بن سعد وادعو اللَّه أن يجعل للأمة أمثال ملء الأرض عميرًا بعد أن تولى إمارة حمص عامًا كاملًا كتب إليه عمر ﷺ: «إذا وصلت رسالتي فأقبل بما جئت به من الفيء» فأخذ جرابه وقصعته وعلق إداوته وأخذ عترته والعترة هي العصا على قدر نصف الرمح يتوكأ عليها وأقبل راجلًا فدخل المدينة وقد شحب واغبر وطال شعره فقال: السلام عليك (يا أمير المؤمنين) فقال: ما شأنك؟ قال: ألست صحيح البدن؟ معي الدنيا! فظن عمر أنه جاء بمال فقال: جئت تمشي؟ قال: نعم، قال: أما كان أحد يتبرع لك بدابة؟ قال: ما فعلوا ولا سألتهم، قال: بئس المسلمون! قال عمير: (يا عمر) إن اللَّه قد نهاك عن الغيبة، فقال: ما صنعت؟ قال: الذي جبيته وضعته مواضعه ولو نالك منه شيء لأتيتك به، قال: جددوا لعمير عهدًا قال: لا عملت لك ولا لأحد[1].

واستأذن عمير عمر أن يذهب إلى أهله في قرية من ضواحي المدينة فأذن له وبعد فترة أراد عمر أن يختبر صدق عمير ليطمئن قلبه من اختياره للولاة وحفظه للأمانة.

فبعث رجلًا يقال له الحارث وأعطاه مائة دينار وقال: انطلق إلى عمير كأنك ضيف فإن رأيت أثر شيء من الثروة فأقبل وإن رأيت حالًا شديدًا فادفع إليه هذه المائة دينار، فانطلق الحارث فإذا هو

(١) سير أعلام النبلاء.

بعمير جالس يفلي قميصه إلى جنب الحائط فقال له عمير: انزل رحمك اللَّه فنزل ثم سأله: من أين جئت؟ فقال: من المدينة، فقال: كيف تركت أمير المؤمنين؟ قال: صالحًا، فقال: كيف تركت المسلمين؟ قال: صالحين قال: أليس يقيم الحدود؟ قال: بلى ضرب ابنًا له على الفاحشة، فقال عمير: اللَّهم أعن عمر فإني لا أعلمه إلا شديد الحب لك.

قال: فنزل به ثلاثة أيام وليس لهم إلا قرصة من شعير كانوا يخصونه بها ويطوون حى أتاهم الجهد فقال له عمير: إنك قد أجعتنا فإن رأيت أن تتحول عنا فافعل، قال: فأخرج الدنانير فدفعها إليه فقال: بعث بها أمير المؤمنين استعن بها قال: فصاح وقال: لا حاجة لي فيها فردها! فقالت له (امرأته): إن احتجت إليها وإلا فضعها في مواضعها فقال عمير: واللَّه مالي شيء أجعلها فيه فشقت المرأة أسفل درعها فأعطته خرقة فجعلها فيها ثم خرج فقسمها بين أبناء الشهداء والفقراء، فرجع الحارث إلى عمر: فقال: ما رأيت؟ قال: رأيت يا أمير المؤمنين حالا شديدا، قال: فكتب إليه عمر: ما صنعت بالدنانير؟ قال صنعت ما صنعت وما سؤالك عنها؟ قال: أنشد عليك لتخبرني ما صنعت بها.

قال: قدمتها لنفسي في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون قال: رحمك اللَّه فأمر له وسق من طعام وثوبين، فقال: أما الطعام فلا حاجة لي فيه، قد تركت في المنزل صاعين من شعير إلى أن آكل

ذلك يكون قد جاء اللَّه بالرزق (ولم يأخذ الطعام) وأما الثوبان فإن (أم فلان) عارية أي زوجته فأخذهما وعاد إلى أهله![1].

حقًّا إنهم صحابة رسول اللَّه ﷺ الصغير منهم كبير الشأن، حكيم اللسان كريم الفِعال، كلهم رجال وما فيهم حثالة ولا نخالة علِّموا الدنيا كلها أصول كل شيء.

إن حياة عمير بن سعد تعلمنا الكثير من العبر والدروس فيها: أن أمير المؤمنين راع ومسئول عن رعيته ومن تمام رعايته للمسلمين الاطمئنان على أحوالهم والوقوف على أمانتهم تعليمًا لغيرهم من الخلف فأمير المؤمنين يتفقد أحوالهم حتى وإن رأى أن الفقر والحاجة تظهر على أحدهم أخذ جرابه وقصعته وعلق إداوته وأخذ عترته وأقبل راجلًا وقد شحب واغبر وطال شعره ورغم ذلك أرسل إليه الحارث ليرى حاله ويمكث عنده ثلاثة أيام ليأتيه بالخبر اليقين، لماذا؟ لأن أمير المؤمنين رجل مسئول.

وانظر إلى عمير بن سعد لما دخل على عمر رضي الله عنه قال: السلام عليك يا (أمير المؤمنين) فلما قال: بئس المسلمون، قال: (يا عمر) إن اللَّه قد نهاك عن الغيبة.

فالميزان عنده هو الإسلام، ليس المقياس عنده المنصب وانظر إليه وهو يسأل الحارث: أليس يقيم الحدود؟ فنعلم من هنا أن أهم

(١) صفة الصفوة - بتصرف.

ما يميز أمير المؤمنين أو المسئول عن رعيته هو إقامة حدود اللَّه تعالى والحكم بأمره وانظر في حياة عمير، حيث أدب الضيافة ومدتها ثلاثة أيام وبعد ذلك يصرح في وضوح المؤمن ذو النظرة السليمة النقية بدون تلون ولا التواء ولا تعنت وكلفة ولا تزين ولا تجمل، إنما هي بساطة الإسلام، وعدم التحرج في قول الحق: «إنك قد أجعتنا فإن رأيت أن تتحول عنا فافعل»، يا له من رجل، أما إنسان اليوم إلا من رحم اللَّه الذي يتجمل بالنفاق فيلبسه رداء لا يواري سوأته، بل تظهر في فلتات لسانه، هو يريده أن يرحل عنه لكنه يصب في أذنيه كلامًا معسولًا باهتا: «دا انت على راسنا، اجلس شوية، البيت بيتك، دا احنا ما لحقنا نراك»... وهلم جرا!! إنه الكذب والرياء بل والنفاق لأن المؤمن لا يكذب، لا يماري ولا يرائي ولا يتجمل إلا بالحق وبه ينطق ويعمل إنها جدية المؤمن ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾... قال تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾.

وهنا نلمح أن الصحابي يأخذ بمبدأ النصح والمشاورة يأخذ برأي امرأته «إن احتجت إليها وإلا فضعها في مواضعها» بعض الناس يرون أن المرأة ليس لها حرية الرأي بل ليس لها حرية الكلمة وإن نطقت بالحق، ليس لشيء إلا لكونها امرأة وهذا من الجهل بطبيعة الحال فالمرأة لها باع في الإسلام، ورأيها له وزن في ميزان الإسلام والأمثلة على هذا كثيرة والحمد للَّه.

انتبه إلى عمر ﷺ وهو يسأله: ما صنعت بالدنانير؟ وألح عليه أن يخبره، يقول عمير: صنعت ما صنعت وما سؤالك عنها؟ لاحظ كيف يكلم أمير المؤمنين، إنها قوة المؤمن الواثق في ربه، العامل له وحده، قال عمير: قدمتها لنفسي في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، قال عمر: رحمك اللَّه فأمر له بوسق من طعام وثوبين فقال: أما الطعام فلا حاجة لي فيه، قد تركت في المنزل صاعين من شعير إلى أن آكل ذلك يكون قد جاء اللَّه بالرزق، وأما الثوبان فإن أم فلان عارية - يعني زوجته- فأخذهما وعاد إلى أهله وكان عمر ﷺ من شدة إعجابه بعمير يسميه «نسيج وحده» ولم لا وهو ثالث الزهاد وفي الأنصار ﷺ.

إخوتاه، وها أنا أقدم لكم بطلًا مغوارًا يبحث عن الشهادة في مظانها ففي كل غزوة يقول في نفسه: لعلي أنال الشهادة هنا، وظل هكذا يتلهف لهذا اليوم الذي يلقى اللَّه فيه شهيدًا في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا اللَّه إلى أن جاءت حروب الردة، وكان يحمل لواء الأنصار فلما رأى الضعف والوهن قد دب في صفوف المسلمين قام فقال: أف لهؤلاء ولما يعبدون! وأف لهؤلاء وما يصنعون! يا معشر الأنصار، خلوا سنني لعلي أصلي بحرها ساعة، ورجل قائم على ثلمة فقتله وقتل... وعن أنس قال: جئته وهو يتحنط فقلت: ألا ترى؟ فقال: الآن يا ابن أخي ثم أقبل فقال: هكذا عن وجوهنا نقارع القوم، بئس ما عودتم أقرانكم، ما هكذا كنا نقاتل مع

رسول اللَّه ﷺ، فقاتل حتى قتل[١].

إنه الذي بشره رسول اللَّه ﷺ بقوله: «**يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا وتدخل الجنة؟**» إنه (ثابت بن قيس) إنه الرجل الذي نفذت وصيته بعد ما مات.

وعن أنس: أن ثابت جاء يوم اليمامة وقد تحنط ولبس ثوبين أبيضين فكفن فيهما، وقد انهزم القوم فقال: اللَّهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء وأعتذر من صنيع هؤلاء بئس ما عودتم أقرانكم خلوا بيننا وبينهم ساعة فحمل فقاتل حتى قتل...[٢]

وخر البطل صريعًا على أرض الشرف والجهاد وقد نال الشهادة بإذن ربه التي لطالما كان يتمناها والتي بشره بها ﷺ وأسلم البطل نفسه للَّه ليكون في حواصل طير خضر تأوي إلى تلك القناديل المعلقة عند عرش الرحمن وليسبح في أنهار الجنة وليكون من تلك الثلة المؤمنة ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء] لك اللَّه يا ثابت من فارس مغوار وبطل كرار تلبس الكفن ببطولة وإقدام وغيرك من أقزام عصرنا يلبس أردية الذل والخزى والعار والهوان.

هذا هو الرجل الذي أثنى عليه رسول الله ﷺ بقوله: «**نعم**

---

(١) البخاري٢٨٤٥.

(٢) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

الرجل ثابت بن قيس بن شماس»[١].

ولم يتوقف عطاء ثابت بعد أن سقط شهيدًا في ساحة الإيمان لأن غراسه ما تزال تؤتي أكلها بإذن اللَّه فقد كان له من الولد ثلاثة: محمد ويحيى وعبد اللَّه، رباهم على حب الجهاد والموت في سبيل اللَّه فقتلوا جميعًا في سبيل اللَّه ونالوا شرف الشهادة والحمد للَّه رضي اللَّه عن ثابت وأولاده.

وها نحن نطير فوق السحاب لنلامس كواكب الجوزاء ولنعيش مع نجم متألق في سماء الإيمان كان إسلامه مهرا لامرأة من أهل الجنة «الغميصاء» أم سُليم أم أنس بن مالك، إنه البطل أبو طلحة الأنصاري، الذي قال رسول اللَّه ﷺ: «**لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل**»[٢].

يا اللَّه صوته فقط فما بالكم بنبله ورمحه وسيفه؟! إنه أبو طلحة الأنصاري، في يوم أحد انهزم ناس عن رسول اللَّه ﷺ وأبو طلحة كان راميا شديد النزع وكان الرجل يمر معه جعبة من النبل فيقول رسول اللَّه ﷺ: «**انثرها لأبي طلحة**» ثم يشرف إلى القوم فيقول أبو طلحة: يا نبي اللَّه بأبي أنت لا تشرف لا يصيبك سهم، نحري دون نحرك وهكذ يحكي لنا أنس قصته، وكانت عائشة مع

(١) صحيح الجامع ٦٧٧٠.
(٢) صحيح الجامع ٥٠٨١.

أم سليم رضي الله عنها تسقيان القوم، وكان أبو طلحة رجل حسن الرمي وكان إذا رمي رفع النبي ﷺ بصره لينظر أين يقع سهمه وكان إذا بقى مع النبي جثا بين يديه، وقال: نفسي لنفسك الفداء ووجهي لوجهك الوقاء، وفي يوم حنين عن أنس رضي الله عنه أن رسول للَّه ﷺ قال يوم حنين: «**من قتل قتيلا فله سلبه، فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلًا وأخذ أسلابهم**»[1]، إنه أبو طلحة الصوام العابد المجاهد، سرد الصوم بعد وفاة النبي ﷺ أربعين سنة لا يفطر إلا يوم فطر أو أضحى أو في مرض أو سفر.

إخوتاه، انظروا إلى أبي طلحة في شيخوخته، عن أنس أن أبا طلحة لما قرأ سورة براءة ﴿انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ . . . قال: ألا أرى ربي يستنفرني شابًّا وشيخًا؟ جهزوني فقال بنوه: قد غزوت مع رسول اللَّه ﷺ حتى قبض وغزوت مع أبي بكر حتى مات وغزوت مع عمر فنحن نغزو عنك فقال: جهزوني فجهزوه.

فركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير[2] . . . . رضي اللَّه عن أبي طلحة.

إخوتاه، دعونا ننهل من هذا النبع الصافي، انظروا إلى عمار بن ياسر رضي الله عنه في يوم اليمامة، قال ابن عمر رضي الله عنه: رأيت عمارا يوم

---

(١) صحيح.

(٢) أخرجه الحاكم ٣/ ٣٥٣ ابن حبان٢٢٥١ الهيثمي في المجمع ٩/ ٣١٣ - قال أبو يعلى رجاله رجال الصحيح.

اليمامة على الصخرة، وقد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين، أمِنَ الجنة تفرون؟! أنا عمار بن ياسر، هلموا إليّ، وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت فهي تذبذب وهو يقاتل أشد القتال.

هؤلاء هم الفتية شباب الإسلام كانوا شبابًا وربما صبيانًا ولكنهم كانوا رجالا حقًّا، الزبير أسلم وعمره ثماني سنوات، عليّ ابن أبي طالب عشر سنوات، سعد كان ابن سبع عشرة سنة، طلحة الخيّر كان ابن إحدى عشرة سنة، الأرقم كان ثلاث عشرة سنة، أخيه قدامة كان ابن تسع عشرة سنة، أخيه عبد اللَّه كان ابن سبع عشرة سنة، سعيد بن زيد كان دون العشرين، جعفر بن أبي طالب كان ابن ثماني عشرة سنة، ابن مسعود كان ابن أربع عشرة سنة، عثمان بن عفان كان ابن عشرين سنة، أبو عبيدة ابن الجراح كان سبع وعشرون سنة، خباب كان عشرون سنة، مصعب كان عمره إحدى وعشرون سنة، المقداد بن الأسود كان أربع وعشرون سنة، عتبة بن غزوان كان سبع وعشرون سنة، عامر بن فهيرة كان ثلاث وعشرون سنة، هكذا كانوا شبابًا ... وكان كل واحد منهم جبلًا في الفهم، في الجهاد، في العمل، في الفتح، «جهاد الطلب» والمقصود به نشر الدين الإسلامي وفتح البلاد .... أما نحن الآن فنقول: نحن أمة نبحث عن شباب، كيف يعجز الشباب أن يكونوا مثل جيل الصحابة جيل التمكين؟

إنهم واللَّه كانوا أعزاء لا يعرفون الذل، كانوا أقوياء لا يعرفون

الضعف، كانوا أشداء لا يعرفون الهزيمة.... حتى دانت لهم الشعوب، وخضعت لهم الدول، وانكسرت على أعتابهم رقاب الملوك والقياصرة.... إنهم غرس اللَّه تعالى فاللَّه يغرس لهذا الدين غرسا يعز به الإسلام في كل زمان ومكان.

ومن غرس اللَّه ﷻ ذلكم البطل صاحب سر رسول اللَّه ﷺ أعلم الناس بالفتن إلى يوم القيامة بعد رسول اللَّه ﷺ إنه الرجل الذي كان سببا فيجمع الناس على مصحف واحد ...إنه الرجل الذي بشره رسول اللَّه ﷺ بأنه رفيقه في الجنة ....أمه هي الرباب بنت كعب الأشهلية رضي الله عنها إنه الرجل الذي كان يدرس الشر من مآتيه ومظانه من باب قول القائل:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

إنه الرجل الذي قال: واللَّه إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة بيني وبين الساعة، عنده علم المنافقين، هو الرجل الذي قال: إن النفاق هو أن تتكلم بالإسلام ولا تعمل به[1].

إنه الصحابي الذي إذا مات أحد المسلمين يسأل عمر رضي الله عنه: أحضر حذيفة للصلاة عليه؟ فإن قالوا نعم صلى عليه، وإن قالوا لا، شك فيه وأمسك عن الصلاة عليه.... وقد سأله ذات مرة: أفي

(١) سير أعلام النبلاء.

عمالي أحد من المنافقين؟ قال: واحد، قال: دلني عليه، فقال: لا أفعل، قال حذيفة: لكن عمر ما لبث أن عزله كأنما هُدِيَ إليه، فلقد كان عمر رضي الله عنه يملك فراسة وشفافية يندر وجودها. . . . إنه (حذيفة بن اليمان رضي الله عنه) الذي عرفناه يوم الخندق حيث قال ﷺ: «**من الرجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع، أسأل اللَّه تعالى أن يكون رفيقي في الجنة؟**» فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعاني رسول اللَّه ﷺ فلم يكن لي بُدّ من القيام حين دعاني، فقال: «**يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا**» قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود اللَّه تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدرًا ولا نارًا ولا بناء فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه، قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت: من أنت؟ فقال: فلان بن فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنك واللَّه ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع (الخيل) والخف (الإبل) وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فإني مرتحل ثم قام إلى جمله وهو معقول (مربوط) فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فو اللَّه ما أطلق عقاله إلا وهو قائم ولولا عهد رسول اللَّه ﷺ إليّ: «ألا تحدث شيئًا حتى تأتيني» ثم شئت لقتلته بسهم، فلما رأى رسول اللَّه ﷺ حذيفة أدخله إلى رحله وطرح عليه طرف ردائه وفي

لفظ مسلم: «**قم يا حذيفة**»، قال: « . . . فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشى فى حمام حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلى ظهره بالنار فوضعت سهمًا فى كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول اللَّه ﷺ «ولا تذعرهم عليّ» ولو رميته لأصبته فرجعت وأنا أمشى فى مثل الحمام فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت قررت فألبسنى رسول اللَّه ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلى فيها فلم أزل نائمًا حتى أصبحت فلما أصبحت قال: «**قم يا نومان**»[1]. . . هكذا كانت صحابة رسول اللَّه ﷺ وكانت رحمته بهم ﷺ.

وبين قمم الجبال الراسيات الراسخات نأخذ هذا التابعي المخضرم (صلة بن أشيم) كما أورد الذهبي في سير أعلام النبلاء لما كان صلة في طريق عودته من إحدى المعارك مات فرسه فقال: اللَّهم لا تجعل لأحد علي منة فإني أستحي أن أسأل غيرك! فأحيا اللَّه له الفرس فركبه ولما وصل إلى بيته قال لابنه محمد: يا بني انزع السرج من على الفرس فإنها عارية (أي استعرتها من اللَّه) فنزع السرج فمات الفرس.

إنها قوة القلب قوة الإيمان التي منها تنبعث قوة الدعاء، فالرمي على حسب قوة الرامي ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال] فثقة العبد في اللَّه وصدق توكله عليه واليقين فيه سبحانه يجعل دعاءه مستجابًا ورميه مسددًا فهو عبد موفق، وهذا يذكرني

(١) مسلم ١٧٨٨.

بالرجل الذي كان عائدًا لأهله من سفر وإذا بقاطع طريق يعترضه، لا يريد ماله إنما يريد قتله دفعة واحدة وبعد محاولات الرجل مع هذا القاطع ما كان إلا سلاح الدعاء وصدق اللجؤ إليه سبحانه فما كان من اللَّه إلا أنه سبحانه استجاب له وأنزل له ملكًا من السماء الرابعة يقاتل عنه ويدافع حتى قتل هذا الشيطان الإنسي إنه فارس الإيمان الكامن في قلبه فالعبد حقيقة يجول ويصول باللَّه وحده فما أدراكم إخوتي بدعاء المسلمين في كل مكان كم دفع هذا الدعاء من بلاء وكم منع من زلزال؟! وكم أخمد من بركان ونيران وطوفان؟! وكم رفع من أمراض وابتلاءات؟! وكم كان سببًا في هداية شباب وشابات؟ واللَّه أخفى هذه الكرامات لهذه الدعوات رحمة بأمة سيد البريات ﷺ فلم تكن عيانا فاللَّه يخشى علينا الفتنة وخاصة بعدما أصبح العالم كالقرية الواحدة فالأخبار مسموعة ومرئية في نفس لحظة الحدث وهذه من علامات الساعة الصغرى تقارب الأزمان والأسواق والأماكن، فنحن في أيام أجدر بها أن تكون الكرامات في خفاء خشية على الأمة على عكس القرون الأولى من الإسلام كان الأجدر والأولى نشر هذه الآيات والعبر لبطء الخبر ولقوة دولة الإسلام أما الآن فالأعداء كثر لا كثرهم اللَّه! ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون] فالأولى ألا نذعرهم علينا كي لا تتفشى الفتن وتتقلب، وما أخبار غزة أعزها اللَّه منا ببعيد فقد كان هناك من الكرامات والآيات ما اللَّه بها عليم ولكن نقول قول الحق للذين وإن شاهدوا أو سمعوا هذه الآيات لا يصدقون إلا ما على أهوائهم قال

تعالى﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر].

إخوتاه، انظروا إلى الذي خاطب دواب الأرض إنه عقبة بن نافع الذي وقف على أبواب مدينة القيروان وقال: أيتها الدواب أيتها الأسود إنا أصحاب محمد ﷺ جئنا لنعلي كلمة لا إله إلا اللَّه فأفسحوا لنا الطريق، فخرجت الأسود بولدانها وخرجت الحيات والعقارب!!

فما بالكم بأناس يخاطبون دواب الأرض فتستجيب لهم! إنه اليقين في اللَّه إنه الثبات على الحق واليقين في أن النصر من اللَّه وحده وأن اللَّه هو المالك المتصرف في ملكه ﷻ يا له من زمان تستجيب فيه الهوام وسائر الحيوان لأنام لأنهم عباد الرحمن وتدور الأيام وتطوف إلى تخرج الدابة من الأرض ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل] والسر كامن في ترددات اللغة العربية عبر الكون واندماجها به فهي مهيأة للتفاعل مع تردد ذرات الكون فهم متعارفون متآلفون، نعم إنها لغة أهل الجنة التي بها يقول العبد للشيء: تعال فيأتي، اقترب فيقترب، لذلك تتحول اللغة إلى هيئات متعددة التموجات تصدر ترددات وتنشا فعاليات تناسب المادة المرسلة إليها والشرط فيها ولانبعاثها ذكر اللَّه هذا هو شرط الانبعاث أن تكون تحت اسم اللَّه شعار المسلم هي ليست لغة لأهل النار فلغة أهل النار لغة

التلاعن والتغابن فهي لغة صدود وليست لغة نفاذ إنما لغة النفاذ تحت اسم اللَّه مثل الطعام الذي يُسمى عليه يحمل بركة اسم اللَّه فكما أن لأهل النار طعام (شجرة الزقوم) فلأهل الجنة طعام ولغة إنهم فئة متميزة من البشر.

وانظر لأهل الجنة وهم في الجنة عن خالد الزميل أنه سمع أباه قال: قلت لابن عباس: ما حلل الجنة؟ قال فيها شجرة فيها ثمرة كأنها الرمان فإذا (أراد) ولي اللَّه كسوة انحدرت إليها غصنها فانفلت عن سبعين حلة ألوانا بعد ألوان ثم تنطبق ترجع كما كانت، وعن الأسِرة قال الكلبي: طول السرير في السماء مائة ذراع فإذا (أراد) الرجل أن يجلس تواضع له حتى يجلس عليه فإذا جلس عليه ارتفع مكانه، فالأشياء تسخر لصاحب الجنة في الدنيا وفي الجنة بحسب درجة إيمانه وتوحيده ونوره وطاعته للَّه تعالى فالمؤمن منسجم مع ذرات الكون انسجاما فطريا والحمد للَّه.

إذا فخروج الدواب من مدينة القيروان يدل على أن هذه الدواب تفهم بإذن اللَّه لغة عباد اللَّه، ليس أي لغة فالذين يتكلمون كثير لكن لغة التوحيد لغة مميزة لغة عالية هي همزة الوصل بين عبد اللَّه وسائر الكون من حجر ومدر وشجر.

ونأخذ على سبيل المثال كلام الحجر: فقد روى مسلم أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهود وراء الحجر والشجر فيقول: يا مسلم**

يا عبد اللَّه هذا يهودي ورائي تعال فاقتله إلا الغرقد»، وهذا الكلام كلام حقيقي ليس على سبيل المجاز لأن هذا ثابت في هذا الحديث وفي غيره والحمد للَّه.

وثمة أمر آخر وهو أن هناك بشر أضل من الأنعام كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف] فهؤلاء لا يفسحون للحق قلبا ولا قالب لذلك هم أضل من الدواب، لأن الدواب تستجيب وتفسح وتفهم لغة التوحيد وتوحد اللَّه ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ﴾ [الإسراء] ثم إن هذا يؤكد فضل هذه الأمة وفضل كلمة التوحيد، الكلمة العليا، كلمة الحق، فيا ليت قومي يعلمون لغة ما بين السطور.

وها نحن نحلق مع الذي حلق بجناحيه في الجنة، مع الذي أشبه خَلقه وخُلقه خَلق وخُلق رسول اللَّه ﷺ إنه الرجل الذي كان المساكين يفرحون برؤيته لرحمته بهم وعطفه عليهم، إنه الشهيد، إنه علم المجاهدين إنه زوج أسماء بنت عميس رضي الله عنها إنهما من جملة من أسلموا علي يد أبي بكر رضي الله عنه قبل أن يدخل رسول اللَّه ﷺ در الأرقم.

إنه جعفر بن أبي طالب «جعفر الطيار» يطير في الجنة مع الملائكة بجناحيه كما أخبر ﷺ وهو الذي شهد غزوة مؤتة ضد الروم

وكان عدوهم ثلاثة آلاف من حملة القرآن قاتل جعفر الذي فر إلى اللَّه تعالى، قائلًا:

يا حبذا الجنة واقترابها
طيبة وبارد شرابها
والروم رومُ قد دنا عذابها
كافرة بعيدة أنسابها
عليَّ إذْ لاقيتها ضِرابها

وانظر إلى كلام النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ففي رواية عن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما قال: أمر رسول اللَّه ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن قتل زيد فجعفر وإن قتل جعفر فعبد اللَّه بن رواحة**»، قال عبد اللَّه: كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفرًا فوجدناه في القتلى ووجدنا في جسده بضعًا وتسعين من طعنة ورمية[1].

وقد تحقق كلام النبي ﷺ فعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها عبد اللَّه ابن رواحة فأصيب**» وإن عيني رسول اللَّه ﷺ لتذرفان «**ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح له**»[2].

(١) البخاري ٤٢٦١.
(٢) البخاري ١٢٤٦.

قال ابن هشام: وحدثني من أثق به من أهل العلم أن جعفرًا أخذ اللواء بيمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فأثابه اللَّه بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء.

يا له من رجل يطير مع الملائكة في السماء مخضب لجناحين بالدم، أبيض الفؤاد كما أخبر الصادق ﷺ.

فكما كان يطير إلى المساكين يقضي لهم حاجتهم، وقلبه يرفرف فرحا وطربا بخدمتهم فكذلك طار في الجنة بجناحيه، وكما أن فقد ذراعيه في الدنيا في سبيل اللَّه فكذلك عوضه اللَّه خيرًا منهما، فيا له من فؤاد أبيض ضخ الدم في عروقه ليسيل نورا على صفحات الزمن ثم ليكون له زينة لجناحيه في الجنة.

فالدم كان له مدادا في الدنيا وطاقة يدمدم به عناكب الظلم وأساطيل الشرك، ثم ليكون له في الجنة جمالا ذو رائحة، وزركشة ذات ألوان مبدعة، متناسقة فائقة الحسن والرقة، فالقلب عباد اللَّه هو أصل الجمال والوصول إلى اللَّه تعالى، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء].

* * *

ثُمامة وعُبادة

إن دراسة التاريخ الإسلامي عامة، وتاريخ الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة خاصة يمثل خطوة عظيمة في طريق بعث الأمة، لأنه يدفع الأمة المسلمة لأن تقوم مرة أخرى وتنفض غبار الغفلة فتستعيد أمجادها لتقود العالم كله إلى خيري الدنيا والآخرة ولذلك فإن الكتابة عن هؤلاء العظماء وكشف الستار عن الصفحات الناصعة التي سطروها على جبين التاريخ بسطور من النور لهي من الواجب الذي يحتمه علينا هذا العصر الذي نعيش فيه معمعة الأفكار واضطراب الموازين وموالاة الكافرين.

إن سيرتهم الكريمة لهي تربية لجميع الأجيال في كل زمان ومكان إلى أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها، ولم لا وقد وضع رسول اللَّه ﷺ يده على سلمان وقال: «**لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء**»[1].

والآن وقفتنا مع الصحابي الجلل، أول مسلم على وجه الأرض دخل مكة ملبيًا، إنه الصحابي الذي لامس الإيمان شغاف قلبه فهدم

(١) البخاري ٤٨٩٧- مسلم ٦٦٦٢.

الجاهلية من جذورها وبنى فيه صرحًا شامخًا من الإيمان والتقوى، إنه (ثمامة بن أثال) إنه الرجل الذي كان يتحين أي فرصة ليقتل النبي محمد ﷺ، ولكنه بعدما أسلم وجهه للَّه تعالى وقف أمام مشركي قريش بمكة وقال لهم: «واللَّه لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ»[١] . . اللَّه أكبر إنه الإيمان الذي جعل ملك من ملوك اليمامة يتحول مثل هذا التحول، لقد أقسم باللَّه ليمنعن عن قريش الطعام حتى يتبعوا محمدا ﷺ وانطلق ثمامة إلى بلاده (اليمامة) فأمر قومه أن يحبسوا الطعام عن قريش فاستجابوا لأمره حتى جهدت قريش وكتبوا إلى رسول اللَّه ﷺ يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة يخلي إليهم حمل الطعام ففعل رسول اللَّه ﷺ[٢].

وهكذا استطاع ثمامة رضي الله عنه أن يقف هذا الموقف الإيجابي للذود عن حياض الإسلام فيمنع الخير من أعداء اللَّه رغبة في إسلامهم ليحقق تلك الخيرية التي امتن اللَّه بها على تلك الأمة الميمونة، قال تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران] يا له من درس عظيم، فلو أن الأمة منعت خيرها عن اليهود وسائر أعداء هذا الدين الذين تكاتفوا على تحطيم هذه الأمة لجاءوا جميعًا ووضعوا رؤوسهم على عتبة الإسلام بدلًا من التخاذل الجماعي من أبناء

(١) البخاري ٤٣٧٢ - مسلم ١٧٦٤.
(٢) زاد المعاد ٢/ ١١٩.

الأمة عن نصرة دين اللَّه إلا من رحم اللَّه.

ووقف ثمامة كالأسد أمام مسيلمة الكذاب بعد وفاة النبي ﷺ عندما ارتد الكثير من قبائل العرب، وقف ثمامة قائلا: يا بني حذيفة إياكم وهذا الأمر المظلم الذي لا نور فيه، إنه واللَّه لشقاء كتبه اللَّه ﷻ على من أخذ به منكم وبلاء على من لم يأخذ به، يا بني حذيفة إنه لا يجتمع نبيان في وقت واحد وإن محمدا رسول اللَّه لا نبي بعده ولا نبي يشرك معه، وظل ثمامة يجاهد في سبيل اللَّه لإعلاء كلمة اللَّه.

وخذ هذا المثال والنموذج العالي من صحابة رسول اللَّه ﷺ (عبد اللَّه بن رواحة) رضي الله عنه إنه الرجل الذي إذا أراد أن يخرج من بيته صلى لربه ركعتين وإذا دخل فعل مثل هذا، إنه الصحابي الذي كان يصوم اليوم الحار في السفر مع رسول اللَّه ﷺ، إنه أحد شعراء رسول اللَّه ﷺ قال عن شعره: هو أسرع فيهم من نضح النبل، جاهد بنفسه وماله ولسانه وسنانه في سبيل اللَّه تعالى.

إنه عبد اللَّه بن رواحة الذي ذهب ليجمع الجزية من يهود خيبر فجمعوا حُلِيا من نسائهم فقالوا: هذا لك وخفف عنا، قال: يا معشر اليهود! واللَّه إنكم لمن أبغض خلق اللَّه إليَّ وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم والرشوة سحت، فقالوا: بهذا قامت السماء والأرض... وفكر في هذا جيدا لتعلم أنهم يعرفون متى تكون الأمة قوية!

وفي غزوة مؤتة كان عدد الروم مائة ألف إلى جانب مائة ألف من

طوائف أخرى وكان عدد المسلمين لا يتجاوز ثلاثة آلاف، فلما رأى المسلمون هذا العدد قالوا نكتب إلى رسول اللَّه ﷺ فنخبره بعدد عدونا فإما أن يمدنا وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له، فقال عبد اللَّه بن رواحة: يا قوم، إن الذي تكرهون للذي خرجتم له تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا اللَّه به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة.

وقد رأينا في أحداث غزة وسمعنا المعجزات، أناس عزل محاصرين لا طعام ولا شراب، لا يملكون إلا إيمان قوي في قلوبهم وعدتهم الحجارة والقليل من السلاح والعدة ولكن اللَّه نصرهم.

وأقدم في هذه السلسلة العريقة هذا الصحابي الجليل صاحب عصابة الموت الرجل البطل الذي كان إذا ربط على رأسه العصابة الحمراء هبت رياح الموت من كل مكان الصحابي الذي أخذ سيف رسول اللَّه ﷺ بحقه كان ينظر إلى أعداء اللَّه وكأنهم حشرة حقيرة يمشي عليها بقدميه فتجده يمشي يختال في مشيته عند الحرب ليحصد رقاب الأعداء، إنه (أبو دجانة) سماك بن خرشة، ويكفي أبو دجانة فخرا أن يشهد له أشجع الفرسان الزبير بن العوام لقد شهد له بكمال الفروسية وشدة البأس، وعن أنس أن رسول اللَّه ﷺ أخذ سيفًا يوم أحد وقال: «**من يأخذ مني هذا؟** فبسط كل واحد منهم يده

يقول: أنا أنا.. قال: **فمن يأخذه بحقه؟** قال: فأحجم القوم فقال أبو دجانة: أنا آخذه بحقه، قال: فأخذه ففلق به هام المشركين»[١].

وأقبل أبو دجانة بعصابته الحمراء آخذا بسيف رسول اللَّه ﷺ مصممًا على أداء حقه وجعل لا يلقي مشركا إلا قتله وأخذ يهد صفوف المشركين هدا ثم أمعن أبو دجانة في هدّ الصفوف حتى خلص إلى قائدة نسوة قريش وهو لا يدري بها قال أبو دجانة: رأيتُ إنسانًا يخمشُ الناسَ خمشًا شديدًا فجمدت له فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة![٢]، فأكرمت سيف رسول اللَّه ﷺ أن أضرب به امرأة وكانت هذه المرأة هي هند بنت عتبة، قال الزبير: رأيت أبا دجانة قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها.

إنه الإسلام الذي يكف أيدي المقاتل عن المرأة وإن كانت كافرة، إنه أدب الإسلام وحماية الإسلام للعورات والضعاف من الناس، إنه الحياء الذي وصف به صحابة رسول اللَّه ﷺ، إنه سيف رسول اللَّه ﷺ الذي لا يقتل إلا ذكور أعداء الأمة، فأنا لا أقول رجال لأن الرجال وصفهم اللَّه تعالى في سورة الأحزاب والنور بصفات مميزة، فأين الكفار من هذه الصفات، بينهم وبينها بونًا شاسعًا!

---

(١) مسلم ٢٤٧٠.

(٢) صحيح.

رحمك اللَّه يا أبا دجانة اليوم تفلق هامنا وتُصبغ العصابات من دمائنا وأعراض نسائنا!! ولا حول ولا قوة إلا باللَّه، ونقف على سر نجاح أبو دجانة في القتال، قال زيد بن أسلم: دخل على أبي دجانة وهو مريض وكان وجهه يتهلل فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني والأخرى: فكان قلبي للمسلمين سليمًا[1].

وظل أبو دجانة الثائر يبحث عن الشهادة في مظانها وأطلق لسيفه العنان لحرب أعداء اللَّه، حتى كانت موقعة اليمامة وقتال مسيلمة الكذاب وبني حنيفة وكانوا حوالي مائة ألف أو يزيدون وكان المسلمون حوالي ألفين وخمسمائة وتسور البراء بن مالك حديقة الموت وكان في موقعة اليمامة وحشي بن حرب الأسود (قاتل حمزة) فاشتركا في قتل مسيلمة كلًّا من وحشي وأبو دجانة ثم قاتل أبو دجانة حتى استشهد في هذه الغزوة رحمه اللَّه ورضي الله عنه.

أحبتي في اللَّه، ضمن هذه السلسلة الذهبية أقدم هذا الصحابي الذي كان ضمن من بايعوا عل الموت عندما أرسل النبي ﷺ عثمان ابن عفان رضي الله عنه سفيرًا إلى قريش في وقعة الحديبية فاحتبسته قريش عندها ولعلهم أرادوا أن يتشاوروا معه في الوضع الراهن فلما (طال احتباسه) عندهم وشاع بين المسلمين خبر مقتل عثمان قام ﷺ ودعا

(١) طبقات بن سعد ٣/ ٢/ ١٠٢.

أصحابه إلى البيعة (بيعة الموت) كان من بينهم فارسنا اليوم (عبادة بن الصامت) رضي الله عنه أنزل اللَّه تعالى في شأنهم: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح] وكان عبادة بن الصامت ضمن الأربعة الذين أرسلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص في فتح مصر: «إني قد أمدتك بأربعة آلاف رجل على كل ألف (رجل) منهم مقام ألف..» وظل المسلمون يحاصرون حصن (بابليون) سبعة أشهر وذلك سنة ٢٠ هجرية فلما رأى المقوقس صبر هؤلاء الأبطال (طلب الصلح) فقال: قد جئتم أرضنا وطال مقامكم فيها وأنتم عصبة يسيرة وأخشى أن تغشاكم الروم فتندموا، فابعثوا إلينا رجالًا منكم نسمع من كلامهم فلعله أن يأتي الأمر بيننا على ما نحب وتحبون.

ولما أتت رسالة المقوقس إلى عمرو وأبقى رسله عنده يومين حتى خاف عليهم المقوقس ثم قال لهم عمرو: ليس بيننا وبينكم إلى إحدى خصال ثلاث:

١) إما دخلتم في الإسلام فكنتم إخواننا فكان لكم ما لنا وعليكم ما علينا.

٢) وإن أبيتم فالجزية عن يد وأنتم صاغرون.

٣) وإما القتال حتى يحكم اللَّه بيننا وبينكم وهو أحكم الحاكمين.

فلما عادوا سألهم المقوقس عن حال المسلمين فقالوا: (رأينا قومًا الموت أحب إليهم من الحياة والتواضع أحب إليهم من الرفعة ليس لأحد منهم في الدنيا رغبة ولا نهمة، جلوسهم على التراب وأميرهم كواحد منهم ما يعرف كبيرهم من وضيعهم ولا السيد فيهم من العبد وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها أحد يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم).

وقد أرهب المقوقس هذا الحديث فأشار على قومه بطلب الصلح وأرسل يطلب رسلًا للمفاوضة في الصلح فبعث عمرو إليه عشرة رجال منهم عبادة بن الصامت وأمره عمرو أن يكون هو المتكلم وعندما دخل عبادة على المقوقس أخذ المقوقس يرتعد منه ويخافه ويقول لهم نحوا عني هذا الأسود وقدموا غيره يكلمني[1].

فتقدم إليه عبادة فقال: قد سمعت مقالتك وإن فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل كلهم مثلي وأشد سوادًا مني وأفظع منظرًا لو رأيتهم لكنت أهيب لهم مني وأنا قد وليت وأدبر شبابي وإني بحمد اللَّه ما أهاب مائة رجل من عدوي إذا استقبلوني جميعًا، وكذلك أصحابي لأن رغبتنا الجهاد في اللَّه، واتباع رضوانه وليس غزونا عدوًّا للَّه رغبة في الدنيا، وما يبالي أحدنا أكان له قناطر من ذهب أم كان لا يملك درهمًا، لأن غاية أمرنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها

(١) النجوم الزاهرة ١/ ١٢.

جوعته ليلته ونهاره، وشملة يلتحفها وإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه. . وإن كان لأحدنا قنطار من ذهب أنفقه في طاعة اللَّه تعالى واقتصر على هذا الذي بيده.

فلما سمع المقوقس ذلك قال لمن حوله: هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط! لقد هبتُ منظره وإن قوله لأهيب عندي من منظره، ثم أقبل المقوقس على عبادة قائلًا له: أيها الرجل الصالح، قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن أصحابك (ولعمري ما بلغتم ما بلغتم إلا بما ذكرت عنك وعن أصحابك).

وبعد هذه الحقيقة وهذا الاعتراف، لا يدخر المقوقس جهدًا في هز أوصال المسلمين وشن حربًا نفسية عليهم فيقول لعبادة: لقد توجه إلينا لقتالكم جمع الروم مالا يحصى عدده، قوم معرفون بالنجدة والشدة ممن لا يبالي أحدهم من لقي ولا من يقاتل وإنا لنعلم أنكم لم تقووا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم!!!

فقال عبادة: يا هذا لا تغرن نفسك ولا أصحابك أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم، فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه وما منا رجل إلا يدعو ربه صباحًا ومساء أن يرزقه الشهادة ولا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده، وليس لأحد منا هم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده، وإن همنا ما أمامنا وأما قولك: إنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة

ولو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه فانظر الذي تريد فبيته لنا فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث فاختر أيتها شئت، ولا تطمع نفسك في الباطل بذلك أمرني الأمير وبها أمره أمير المؤمنين وهو ما عهد به رسول اللَّه ﷺ من قبله إلينا.

وهكذا شن عبادة أعظم حرب نفسية على المقوقس، لقد ملأ نفسيته بالرعب والفزع والهول وهذا أول معاول النصر، ولا يبقى إلا توسلات المقتول إلى قاتله أن يترفق به في ذبحه ويحد شفرته حتى لا يحس بألم القتل وبينما هم على أهبة الاستعداد لخوض معركة فاصلة مع إحدى حصون الروم، وصلت رسالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وفيها يقول: أما بعد: فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر أنكم تقاتلونهم منذ سنين وما ذلك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم وأن اللَّه تبارك وتعالى لا ينصر قومًا إلا بصدق نياتهم وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر وأعلنتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف إلا أن يكونوا قد غيَّرهم ما غيَّرهم فإن أتاك خطابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم في الصبر والنية وقدم أولئك الأربعة في صدور الناس ومر الناس جميعًا أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند زوال يوم الجمعة فإنها تنزل الرحمة ووقت الإجابة وليدع الناس ربهم ويسألونه النصر على عدوهم.

فأرسل عمرو ﷺ عملاق المعارك عبادة بن الصامت ﷺ ففتح مدينة الإسكندرية وهكذا بطولة الأبطال وبعد هذا التاريخ المشرف لعبادة يموت ﷺ سنة أربع وثلاثين هجرية ويدفن ببيت المقدس رضي اللَّه عن عبادة وسائر صحابة رسول اللَّه ﷺ.

وانظروا إخوة الإسلام إلى عزة المسلم وإباء نفسه الزكية «إما دخلتم في الإسلام فكنتم إخوانًا وإن أبيتم فالجزية عن يد وأنتم صاغرون وإما القتال».

إسلام، جزية، قتال، ثلاثة لا رابع لهم، وأخر القتال لأنه «لا إكراه في الدين» ثم انظر إلى وصف وزراء إعلامهم أو نوابهم أو سفرائهم «رأينا قومًا الموت أحب إليهم من الحياة..» لكن ماذا يقول سفيرهم اليوم؟ ماذا يقول عن بعض المسلمين؟! يقول أحدهم: رأينا قومًا الدنيا أحب إليهم من الآخرة، والكبر أحب إليهم من التواضع ليس لأحد منهم في الآخرة رغبة ولا نهمة، جلوسهم على الكراسي والمناصب، وأميرهم ليس كواحد منهم، يعرف كبيرهم من وضيعهم ويعرف السيد فيهم من العبد، وإذا حضرت الصلاة يتخلف معظمهم على المقاهي والنواصي وفي النوادي وأمام الشاشات، يغسلون أطرافهم سؤر الغرب والشرق، وهم عن صلتهم ساهون!!

فهل بعد هذه الصفات تبقى هيبة للأمة في قلوب أعدائها؟! هل بعد هذه الصفات تجد هؤلاء الشرذمة يخافون ويطلبون مفاوضات

الصلح؟ هل في الأمة رجل بألف رجل؟

هل في الأمة رجل صوته يزلزل عروش اليهود الهاوية؟ ثم انظر إلى كل كلمة نطق بها عبادة واللَّه إنها لتحتاج إلى محاضرة إن لم تكن محاضرات، استمع إلى قوله: «وإني بحمد اللَّه ما أهاب مائة رجل من عدوي... رغبتنا الجهاد في اللَّه.. واتباع رضوانه وما يبالي أحدنا أكان له قناطير من ذهب أم كان لا يملك درهمًا» إلى آخر كلامه رضي الله عنه.

سبحان اللَّه، هذه صفاتهم ومنتهى طلبهم، على العكس من طلبات بعضنا اليوم، فتجد أن همَّ إنسان اليوم وإن كان من المسلمين إلا من رحم، همُّه جمع الدراهم والدولارات حتى ولو على حساب تمزيق أشلاء أمته، حتى ولو على حساب إراقة دماء أخوانه، تجده عميل للغرب والشرق، منتهى أمانيه كرسيه في الدنيا، نظره تحت قدميه ورأسه منكسة في التراب، همه بطنه وجيبه له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا!! خططوا له وزينوا له الحياة الدنيا وكانوا له في الردى إخوان، فما أفاق إلا على ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة]. نسأل اللَّه العفو والعافية

* * *

التربية (١)

ما زلنا أحبتي في اللَّه تعالى مع خير جيل عرفته البشرية، وهم خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، قوم اختارهم اللَّه لصحبة نبيه، لقد سطروا تاريخًا مكتوبًا بمداد من نور، هم النبع والمعين الصافي، فهلموا عباد اللَّه لنرتوي من هذا النهر الرقراق.

وموعدنا اليوم مع صاحب التجارة الرابحة مع اللَّه تعالى، إنه ثمر من ثمرات الثبات على طريق الإيمان، إنه (سعيد بن عامر) الذي كان إسلامه ثمرة من ثمرات الثبات للصحابي خبيب بن عدي ﷺ، فلقد شاهد سعيد بن عامر مصرع خبيب ﷺ وهو يقول لمشركي قريش: دعوني حتى أركع ركعتين، ويا لها من صلاة عندما تكون صلاة مودع ينتظر بعدها لقاء ربه، فلم سلم قال: واللَّه لولا أن تقولوا: إن ما بي جزع لزدت، فقال له أبو سفيان وكان مشركًا في هذا الوقت: أيسرك أن محمدا عندنا نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ فقال: لا واللَّه ما يسرني أني في أهلي وأن محمدًا في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، ثم قال: اللَّهم أحصهم عددًا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا، ثم صلبوه ﷺ، ونقول: يا كل راع

استرعاه اللَّه رعية صغرت أم كبرت، اعلم يا عبد اللَّه أن الولاية تكليف لا تشريف، وأنها أمانة وأنها يوم القيامة خزي وندامة.

قال ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته**»(١).

وقال ﷺ: «**ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى اللَّه مغلولا يده إلى عنقه فكه بره أو أوثق إثمه، أولها ملامة وأوسطها ندامة وآخرها خزي يوم القيامة**»(٢).

ها هو أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يأمر بعض من يثق بهم من أهل مدينة (حمص) أن يكتبوا له كشف بأسماء الفقراء فرفع إليه الكتاب فإذا فيه سعيد بن عامر (أميرها) فقال: من سعيد بن عامر؟ قالوا: أميرنا، قال: أميركم؟! قالوا: نعم فعجب عمر، ثم قال: كيف يكون أميركم فقيرًا؟ أين عطاؤه، أين رزقه؟ قالوا: يا أمير المؤمنين لا يمسك شيئًا، قال: فبكى عمر ثم عمد إلى ألف دينار فصرها ثم بعث بها إليه وقال: أقرئوه مني السلام وقولوا بعث بهذه إليك أمير المؤمنين تستعين بها على حاجتك، فجاء بها إليه الرسول فنظر فإذا هي دنانير، قال: فجعل يسترجع يقول: إنا للَّه وإنا إليه راجعون، فقالت له امرأته: ما شأنك يا فلان أمات أمير المؤمنين؟! قال: بل أعظم من ذلك، قالت: فما شأنك؟ قال: الدنيا أتتني الفتنة دخلت

(١) متفق عليه - صحيح الجامع ٤٥٦٩.
(٢) صحيح الجامع ٥٧١٨.

عليَّ، قالت: فاصنع فيها ما شئت، قال: عندك عون؟ قالت: نعم فأخذ منها وأعطى جيشًا من جيوش المسلمين ثم قالت امرأته: رحمك اللَّه لو كنت حبست منها شيئا نستعين به، فقال لها: إني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى أهل الأرض لملأت الأرض ريح مسك**» واللَّه ما كنت لأختارك عليهن، فسكتت.

إنه رجل قدمه في الأرض وقلب في الجنة، يسبح تحت عرش الرحمن، رجل ذو بصيرة مستنيرة، يرى الأشياء على حقيقتها لا يكبر ولا صغر، رجل يحب ما أ حب اللَّه، ولا يعظم دنيا حقَّرها اللَّه إلا من ذكره وما والاه.

ثم أخذ عمر رضي الله عنه يتابع سعيد بن عامر وقدم عمر رضي الله عنه (حمص) قال: يا أهل حمص كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه في أربع مسائل: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: أعظم بها، قال: وماذا؟ قالوا: لا يجيب أحدا بليل، قال: وعظيمة، قال: وماذا؟ قالوا: له يوم في الشهر لا يخرج إلينا فيه، قال: عظيمة، قال: وماذا؟ قالوا: تأخذه الغشية بين الحين والحين.. قال: فجمع عمر بينهم وبينه وقال: اللَّهم لا تخيب ظني فيه اليوم، قال عمر: ما تشتكون منه؟ قالوا: لا يخرج حتى يتعالى النهار قال سعيد: واللَّه إني كنت لأكره ذكره، إنه ليس لأهلي خادم فأعجن عجينهم ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم... هذه

واحدة، فقال عمر: ما تشتكون فيه؟ قالوا: لا يجيب أحدًا بليل قال: ما يقولون؟ قال: إن كنت لأكره ذكره، إني جعلت النهار لهم وجعلت الليل للَّه ﷻ، قال: وما تشتكون منه؟ قالوا: إن له يومًا في الشهر لا يخرج إلينا فيه، قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي وليس لي ثياب أبدلها فاجلس حتى تجف ثم أدلكها ثم أخرج إليهم من آخر النهار، ثم قالوا: تأخذه الغشية من الحين إلى الحين، قال سعيد: شهدت مصرع خبيب بن عدي بمكة وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جزع فقالوا: أتحب أن محمدًا مكانك؟ فقال: واللَّه ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمدًا شيك بشوكة ثم نادى: يا محمد.. فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أؤمن باللَّه العظيم إلا ظننت أن اللَّه ﷻ لا يغفر لي بذلك الذنب أبدا فتصيبني تلك الغشية!!!

رضي اللَّه عنك يا خبيب، ورضي اللَّه عنك يا سعيد، ماذا يا سعيد لو رأيت المسلمين اليوم وقد تركوا إخوانهم في العراق.. في غزة، لقد رأوهم وقد مُزقت أشلاؤهم، وجرت دماؤهم وقتلت أطفالهم واغتصبت نساؤهم، قُطِعوا تقطيعًا ولا مغيث من المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه، هذه غشية سعيد بن عامر لمشهد شاهده وهو مشرك! بل أن الأطفال كانوا يتسابقون للجهاد في سبيل اللَّه، فكانوا في زي أطفال لكنهم في الحقيقة كانوا رجالًا، كأطفال الحجارة في غزة الذين استقوا من معين أسلافهم

كأمثال زيد بن الأرقم، وأسامة بن زيد وابن عمر والبراء بن مالك وزيد بن ثابت . . . هؤلاء كانوا صغارا ولكن وهبهم اللَّه قلوب الرجال. . . أقول: جاءت غزوة بدر وكان زيد يتمنى أن يكرمه اللَّه بنعمة الشهادة في سبيله فعرض نفسه على رسول اللَّه ﷺ ولكن النبي ﷺ رده مع ثلة، ثلة من أترابه لصغر السن فعاد زيد ودموعه تقطر على وجنتيه حزنًا على حرمانه من الجهاد في سبيل اللَّه. . . . هذا هو بكاء الغلمان، فأين رجال اليوم؟ بل هم كانوا الرجال.

ثم انظروا إخوتاه إلى أسرة مكونة من زوج وزوجه وطفل هذه الأسرة أحبت أن تهاجر مع الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة لكن أشرار قريش أَبَوْا أن يخرجوا في أمن وأمان وكأن لسان حالهم لا نترككم وإن تركتمونا سنغزوكم وإن لم تغزونا، سنثير الفتن والقلائل بين صفوفكم وإن فارقتمونا هكذا صفات أهل النار هم دائما في حالة ثورة، غليان هم نار متأججة هم وقود النار فكيف لوقود النار أن تخمد وأن تهدأ إنها لا تهدأ لأنها سر اشتعال النيران، ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ أناس يتطاير الشر من أنفاسهم فأنفاسهم نار كلماتهم نار كل من يقترب منهم يقترب في الحقيقة من النار لذلك اللَّه تعالى يقول: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود]، هذه هي طبيعتهم هم يسعون دائما إلى أمهم الهاوية هي تلاحقهم تؤزهم أزًّا إلى إشعال الفتن بين الناس وفي المجتمعات ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ إنهم نار متأججة في

الأرض ذرات أجسادهم لا تعرف السلم، لا تعرف الأمن والأمان لا تعرف إلا الفرقة والشرذمة والتقطيع والتمزيق. . هذه الأسرة هي أسرة أبو سلمة فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما أجمع أبو سلمة رضي الله عنه الخروج إلى المدينة أي في الهجرة، رحل لي بعيره، ثم حملني عليه، وجعل معي ابني «سلمة ابن أبي سلمة» في حجري ثم خرج يقود بي بعيره، فلما رأته رجال بني المغيرة قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوني منه، قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة، وقالوا: واللَّه لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا قالت: فتجاذبوا ابني «سلمة» بينهم (حتى خلعوا يده) وانطلق به بنو عبد الأسد وحبستني بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة.

قالت: ففُرِّق بيني وبين ابني وبين زوجي، قالت: فكنت أخرج كل غداة، فاجلس في الأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريبا منها. . . . حتى مر بي (رجل) من بني عمي- أحد بني المغيرة- فرأى ما بي فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا تحرجون من هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها، قالت: فقالوا: الحقي بزوجك إن شئت، قالت: فرد بنو الأسد إليَّ عند ذلك ابني، فارتحلت بعيري، ثم أخذت ابني، فوضعته في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، قالت: وما معي أحد من خلق اللَّه حتى إذا

كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن أبي طلحة، فقال: إلى أين يا ابنة أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة، قال: أو ما معك أحد؟ قلت: ما معي إلا اللَّه وبُنيَّ هذا، فقال: واللَّه مالك من متركْ!! فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي به، فو اللَّه ما صحبتُ رجلًا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه وكان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر بعيري، فحط عنه، ثم قيده في الشجر، ثم تنحَّى إلى شجرة، فاضطجع تحتها فإذا دنا الرواح، قام إلى بعيري، فقدمه فرحله ثم استأخر عني، وقال: اركبي، فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقادني حتى ينزل بي فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة. . . .هذه هي أخلاق العرب، شهامة. .مروءة. .رجولة. .أمانة.

فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك في هذه القرية، وكان أبو سلمة بها نازلا فادخليها على بركة اللَّه، ثم انصرف راجعا إلى مكة فكانت تقول: ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة. . . .[1]

إخوتاه، إن الإسلام عزيز، غالي الثمن لذلك حرص عليه كل صحابة رسول اللَّه ﷺ حتى الذي له عذر شرعي عند اللَّه تعالى، حرص على الجهاد في سبيل اللَّه تعالى فعندنا نموذج عالي الشأن إنه

(١) ابن هشام ٢/ ٧٥-٧٦ ، البداية والنهاية ٣/ ١٦٩.

«عبد اللَّه ابن أم مكتوم» كان يغزو ويقول: ادفعوا إليَّ اللواء فإني أعمى لا أستطيع أن أفر وأقيموني بين الصفين، جاهد ﷺ حتى وجدوه صريعًا مضرجًا بدمائه وهو (يعانق راية الإسلام) في القادسية..

للَّه درك يا مؤذن رسول اللَّه ﷺ !! حين تشهد الوغي وطعن الرماح، ووقع الأسنة، وتمسك بالراية، وأنت أعمى.... من أي طينة طاهرة عطرة كنتم وبأي أرحام حُمِلتم، ومن أي أصلاب خرجتم؟ لكأنكم أتيتم إلينا من عوالم علوية غير عالمنا هذا!!!.

فرضيَ اللَّه عن صحابة رسول اللَّه ﷺ...

إخوتاه، اللَّه قدير، اللَّه خير الحافظين، اللَّه يدافع عنك، يحميك، يجيب المضطرين إلى ما يحبون.

اللَّه... الملك ﷻ.

في غزوة بدر، وبعدما وضعت الحرب أوزارها، قامت سُلافة بنت سعد وكانت مشركة من نساء قريش تبحث عن زوجها وأولادها (مُسافع وكلاب والجُلاس) فوجدت أن زوجها قد صُرع وأولادها إلا الجلاس كان لم يفارق الحياة بعد، فأخبرها أن «عاصم بن ثابت» هو الذي صرعه وأخاه مُسافعًا، وجن جنون سلافة وأقسمت باللات والعزى أن لا تهدأ حتى تثأر من عاصم وتشرب الخمر في قحف رأسه، وجعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة، وتسابقت رؤوس الشر لحصد رأس عاصم في يوم الرجيع في السنة الرابعة من

الهجرة، وعاصم بن ثابت هو جد عاصم بن عمر بن الخطاب، قام يجاهد في سبيل اللَّه ويدعوه: «اللَّهم إني أحمي دينك وأدافع عنه فاحم لحمي وعظمي ولا تُظفر بهما أحدا من أعداء اللَّه»، فلما قتل عاصم وأرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه لسلافة، فمنعته الدَّبر- جماعة النحل والزنانير- فلما حالت بينهم وبينه، قالوا: دعوه حتى يمسي فيذهب عنه، فنأخذه، فبعث اللَّه الوادي فاحتمل عاصمًا فذهب به، وكان عاصم قد أعطى عهدا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا تنجسًا.

وعناية الرحمن تعصم عاصما
في مصرع أكرِم به من مصرع
بالسيل بعد الدَّبْر من أعدائه
عن أن يُنالَ براحةٍ أو أصبعِ

لقد أخذه السيل بعيدًا بعيدًا ومضى به إلى حيث لا يعلمون، وصان اللَّه رأس عاصم الكريمة من أن يُشرب في قحفها الخمر، حمى دينه، فحمى جسده فهو لم يمس مشركًا في دنياه، فلم يمسه مشرك بعد موته.

وانظروا إخوة الإسلام من أين يأتي النصر؟ وما هي أسبابه؟ ومن هم رجاله؟ وماذا قدموا؟

ضمن نجوم الصحابة الزاهرة، نجم يماني يتسابق مع الريح لرؤية النبي ﷺ... صحابي نزلت فيه وفي قوته هذه الآية ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ

يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ قال النبي ﷺ: «**هم قومك يا أبا موسى وأومأ إليه**»، إنه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يقول عنهم ﷺ: «**إني لأعرف أصوات رُفقة الأشعريين بالقرآن، حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار**»[١]، هذا من أقوى أسباب النصر قيام الليل، ثم ماذا؟ يقول النبي ﷺ: «**إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعامهم عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموا بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم**»[٢].

هذا هو السبب الثاني قلوبهم على قلب رجل واحد ثم سببًا ثالثًا ألا وهو الحياء، عن أبي مجلز أن أبا موسى يقول: إني لأغتسل في البيت المظلم فأحني ظهري حياء من ربي.

إنهم أهل اليمن قال ﷺ: «**أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا، الإيمان يمانٍ والحكمة يمانية ...**»[٣]

هم أول من تصافحوا . . . ونخص منهم أبو موسى الأشعري ﷺ الذي كان إذا قرأ القرآن بصوته تشعر كأن الدنيا تتمايل طربًا بصوته العذب الرخيم، لقد أتاه اللَّه مزمارًا من مزامير داود كما أخبر ﷺ، ماذا نقول عن رجل يحب القرآن حبًّا ملك عليه فؤاده الرقيق،

---

(١) مسلم ١٦٦.

(٢) مسلم ١٦٧.

(٣) متفق عليه صحيح الجامع ٥٣.

ذو حياء. . . قوام صوام ورغم رقة قلبه إلا أنه إذا حميَ الوطيس وصرخت السيوف فوق الرؤوس كان هو الفارس الذي يبحث عن الشهادة وكأنه يبحث عن نصفه الآخر، وهو الذي تفوه بهذه الحكمة: «إن الخيل إذا أُرسلت فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها».

لماذا الخيل؟ لأن الخيل كما أخبر النبي ﷺ معقود في نواصيها الخير، وهنا ارتباط قي متين بين الخيل والإنسان، وهذه الحكمة تبين أن الإنسان العربي على معرفة واسعة بطموحات العصر، إنها نظرية الاندفاع، اندفاع الشيء من أعلى إلى أسفل، فعندما يندفع الشيء من أعلى إلى أسفل لا تملك له التوقف، أنت أرسلته، إذا دعه يأخذ مجراه مثل هذا مثل الجندي في المعركة عندما يضغط على البندقية، لا مجال للعقل نحو انطلاقها، طالما ضغط على الزر، لا يستطيع أن يوقف الرمي والقذف فالرصاص يعمل فوق قدرات عقله إنها حركة لا يمكن معها التوقف، فالرصاص في الهواء لا يمكن التحكم فيه لأنه انطلق، خرج وأرسل وحدد الهدف فلا مجال للتوقف، وكالجندي انطلق في أرض المعركة باسم اللَّه، فلا وقت للعودة، لا تهدئة لا نكوص ولا تراجع فالاندفاع فرض نفسه مثل الحجر إذا رميته من أعلى فسيأخذ مسيرته حتى يلقى على الأرض فلا سبيل لتوقفه، فوقت العقل انتهى إن أبا موسى رضي الله عنه يريد أن يعلمنا أن نبذل أقصى جهدنا كالخيل إذا أرسلت فلا تولي يوم

الزحف إنما صبر وبذل وسباق نحو الهدف.

لأن الذي يتراجع لا يتراجع وحده، فلو أن رجل يحمل راية الإسلام في معركة ثم راح تركها، بالطبع سيتراجع من دونه من الضعاف، فالأعلى يشد الأدنى لأنه بنيان، والبنيان لابد له من قوة وتراخي وإحكام، فالذي يتراجع هو وسيلة هدم وليس وسيلة بناء! فعلى العبد أن يكون مقدام، مدرب على السرعة وشق الصفوف في ساحة الجهاد وعليه أن يأخذ من صفات الخيل فأقصى سرعة واندفاع للخيل عندما تكون رأسها محل رجليها كأنها تضع عقلها ورأسها بين رجليها أسفل منها وتندفع لتخرج أقصى ما عندها بلوغا للَّهدف واللَّه ﷻ أهلَّ الإنسان وأعده وهيأه وجعله كالفرس في هذه الحالة بالتحديد، فأنت ترى صحابيا مندفعا في الحق نحو هدفه لا يبالي الموت واذكر هنا قول النبي ﷺ في حديث رواه مسلم: «**خير معاش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل اللَّه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة، طار على متنه يبتغي القتل أو الموت مظانه..**» فهذا فارس عربي ذو قلب مدرب قوي يحمل جسدًا صابرًا محتسبًا تدرب على الكر والفر سريع الحركة متيقظ جاهز قلبه مشغول فكره بهدفه ليل نهار، إنه جندي مسلم يريد اللَّه والدار الآخرة.. يريد الجنة، له عزيمة قلب وحرارة إيمان.. ذو همة عالية إنه عبد حر فهو باللَّه وللَّه ومع اللَّه لا يعرف الأحجبة ولا القيود ولا الأغلال والسلاسل إنه عبد اللَّه.

وانظر إلى الفارس الذي تردد بعض التردد حتى حاد حيدة إنه عبد اللَّه بن رواحة رضي الله عنه الذي قال:

يا نفس إلا تُقتلي تموتي
هذا حمامُ الموتِ قد صليتِ
وما تمنيتِ فقد لقيت
إن تفعلي فعلهما هُديتِ

ثم نزل فلما نزل أتاه ابن عم له بعظم من لحم فقال: اشدد بها صلبك فإنك قد قيت في أيامك هذه ما قد لقيت فأخذه من يده فانتهش منه نهشة ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال وأنت في الدنيا يقولها لنفسه ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل. . . وصدق القول: إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها.

وعندنا نماذج من الصحابة، كثير منهم إذا حضرهم الموت سارعوا في ختم القرآن، آخرين يدعون الناس إلى اللَّه وآخرين يتمون صومهم، وغيرهم يلقى الثمرات مِن فيه ويمضي في ساحة الجهاد مقبلًا على اللَّه تعالى، وآخرين يبكون ويدعون اللَّه تعالى وهكذا سباق المؤمنين إلى اللَّه.

انظر إلى رسول اللَّه ﷺ وهو يحدث أصحابه عن يوم القيامة ويخبرهم أن من أمته سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ويعجب الصحابة بهذا الفضل العظيم و(يقفز) عكاشة بن

محصن ﷺ سريعًا يبادر الموقف وينتهز الفرصة قبل أن تفوت، ويقول: يا رسول اللَّه ادع اللَّه أن يجعلني منهم، قال: أنت منهم ويفوز بها عكاشة ثم يغلق الباب ويقال لمن بعده، سبقك بها عكاشة وليس هذا كما يفهم بعض محض الصدفة! لا إما هو رجل سباق يحب السباق هو دائما في مضمار السباق، يعمل ويشتاق للأعالي من الأمور عالي الهمة يتحين الفرصة لينال أعالي الجنة لقد كان الصحابة يعيشون حالة سباق في جميع أبواب الخير، العبد لابد أن يسابق أخوانه في ميدان العمل الصالح ولا يتكاسل، ويترك السباق لغيره عليه أن يعد نفسه جيدا للَّه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة].

* * *

التربية (٢)

مازلنا إخوة الإسلام في رحاب سلفنا الصالح، نطالع أخبارهم ومآثرهم وسيرهم النيِّرة، ونتملى وقارهم وجلالهم بكامل الحب المفعم بالشوق والاحترام، وسنعرج في عالم من الصفاء والسمو والنقاء والمثل القيم والفضائل، وسنحط رجالنا على عتبة كوكبة من الصفوة المختارة إنهم الثلة الطاهرة الكريمة نسأل اللَّه أن ينفعنا بسيرهم العطرة وأن يحشرنا في زمرتهم مع النبي ﷺ.

إننا في محطة استراحة من ذلك الزخم الذي يحيطنا وتلكم الفتن التي تعاصر زماننا ... إنها وقفة استرخاء لجمع شتات القلوب المتعبة ولحظة تفكر وتأمل وتدبر عسى اللَّه أن ينفعنا بها.

إخوة الإسلام، موعدنا الآن مع بطل يعشق الموت ولو أقسم على اللَّه لأبره، بطل كرَّار، لا يقاتل من أجل الفوز والنصر فحسب! بل يقاتل من أجل الفوز بالشهادة فهو يبحث عن الجنة وشعاره اللَّه ... الجنة، ولذلك كان عمر رضي الله عنه يخشي أن يستعمله على جيش خوفا من حرصه الشديد على الموت، وكان يقول إنه مهلكة من المهالك.... قتل من الكفار والمشركين مائة مبارزة وكان يركب الفرس وهي تجري.

هو أخو خادم رسول اللَّه ﷺ، حديثنا اليوم عن (البراء بن مالك رضي الله عنه) لقد شهد البراء غزوة أحد والخندق وبايع النبي ﷺ بيعة الرضوان تحت الشجرة، بايعه على الموت ونزل قول الحق ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح]، وحضر البراء غزوة الفتح وغزوة حنين، لقد كان البراء همة متأججة الإيمان فإذا ما اشتعل فتيل المعركة يثور الأسد المغوار ويزأر ليدمر أمامه كل ما يجده من قوى الشر والطغيان، فلا يأبه للفرسان ولا للحصون ولا للرماح ولا للسيوف وإنما يجرف كل ما يلقاه في طريقه بقوة الإيمان وعميق الإخلاص، هو من الذي قال فيهم رسول اللَّه ﷺ: «**كم من أشعث أغبر ذي طمرين، لا يُؤبَه له، لو أقسم على اللَّه لأبره، منهم البراء بن مالك**»[1]، وبعد وفاة النبي ﷺ كانت حروب الردة التي استمرت ملتهبة حوالي سنة كاملة، ولقد كشفت هذه الحروب عن معادن الرجال، ثم كانت موقعة اليمامة بقيادة خالد بن الوليد، وكانت موقعة شرسة انتصر فيها المسلمون وكان عددهم ثلاثة عشر ألف مسلم مقابل أربعين ألف مقاتل من جيش مسيلمة الكذاب، قتل في المعركة مسيلمة، واستشهد من المسلمين حوالي ألفًا ومائتي شهيد .

ويحكي لنا أنس بن مالك بطولات البراء أخيه فعن أنس قال: إن خالد بن الوليد قال للبراء رضي الله عنهما يوم اليمامة: قم يا براء، فقام

(١) صحيح الجامع ٤٥٧٣.

وركب فرسه فحمد اللَّه وأثنى عليه ثم قال: يا أهل المدينة، لا مدينة لكم اليوم وإنما هو اللَّه وحده والجنة، وأخذ البراء يقاتل حتى صرع قائد جيش مسيلمة، ثم زحف المسلمون إلى المشركين حتى ألجئوهم إلى حديقة الموت وفيها عدو اللَّه مسيلمة، فقال البراء: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم فحملوه ورفعوه على الجدار سور الحديقة، ونزل واقتحمها عليهم وفتحها ودخل عليهم المسلمون فقتل اللَّه مسيلمة. . . . لقد حملوه على تُرس، على أسنة الرماح . . . وجرح يومئذ بضعة وثمانين جرحًا وأخذ خالد بن الوليد يداوي جراحة لمدة شهر.

وظل البراء يشتاق إلى لقاء اللَّه، يشتاق إلى الجنة، يريد أن يغمض عينيه فيجد نفسه في حواصل طير خضر تطير به إلى خيمة الشهداء تحت ظل عرش الرحمن، ثم يلحق بالنبي ﷺ وأصحابه في جنات الخلود. . . وكان البراء على يقين من أنه لن يموت على فراشه . . . لأنه يعلم أن النبي ﷺ أخبره أنه مستجاب الدعوة، وظل البراء يدعو اللَّه ويشتاق إليه وإلى جناته إلى أن جاء يوم فتح (تستر) من بلاد فارس، لقد تحصن الفرس في إحدى القلاع، (فحاصرهم المسلمون) وأحاطوا بهم إحاطة السوار بالمعصم، فلما طال الحصار واشتد البلاء على الفرس، جعلوا يدلون من فوق أسوار القلعة سلاسل من حديد، علقت بها كلاليب من فولاذ حُميت بالنار حتى غدت أشد توهجًا من الجمر، فكانت تنشب في أجساد

المسلمين وتعلق بها، فيرفعونهم إليهم إما موتى وإما على وشك الموت، فعلق كُلابُ منها بأنس بن مالك، «فما إن رآه البراء حتى وثب على جدار الحصن وأمسك بالسلسلة التي تحمل أخاه وجعل يعالج الكلاب ليخرجه من جسده، فأخذت يده تحترق وتدخن، فلم يأبه لها حتى أنقذ أخاه وهبط إلى الأرض بعد أن غدت يده عظاما ليس عليها لحم. . .»!!

وهذا ليس ضربًا من الخيال أو أسطورة من الأساطير إنما هي حقيقة الإخوة في الإسلام . . . هذا هو الفارس الذي لا يُشقُ له غبار، ولما اشتد القتال. . .وجالد الأعداء، وبلغت القلوب الحناجر، قال بعض المسلمون للبراء: يا براء إن رسول اللَّه ﷺ قال: إنك لو أقسمت على اللَّه لأبرك، فأقسم على اللَّه، فقال: «أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك ﷺ»، فانتصر المسلمون وقتل البراء شهيدًا رضي الله عنه.

وقد لاحظنا د تمسك البراء بأخيه، ولم لا وقد قال تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾ [طه].

فأنسٌ أخوه يؤنسه ويواسيه فكيف يترك كلاب من حديد متوهج يتعلق بأخيه كيف يترك جمر النار يكتوي به أخيه، وهو يسمع ويرى! فما أقل من أن يشاركه آلامه وأحزانه، فتحترق يده وتدخن وتصير

عظاما بلا لحم!

فكيف بأخ اليوم إلا من رحم اللَّه، هو الذي يحرق أخيه بنار الشهوات والشبهات يفتح عليه أبواب النيران لتلتهمه وتنهش لحمه وعظامه، كيف لا ينقذه من هوس الجهالات والبدع والخرافات؟! كيف يدعه يعيش بين زخم المعاصي والخطايا وبين أنياب أعدائه دون أن يغيثه، وكأنه براء من كل ما يضر ويؤذي أخيه ويشوش عليه أنسه بربه.

إنه برءٌ لأخيه وشفاء وأخيه أنسٌ له.

* * *

عزة المسلم

موعدنا مع رجل ليس من نسج الخيال ولا من صنع السحاب إنما هو رجل رباني عابد للَّه تعالى، رجل تسلم عليه الملائكة، أسلم هو وأبوه وأبو هريرة في وقت واحد، كان إسلامه عام خيبر، وكان مجاب الدعوة، إنه (عمران بن حصين رضي الله عنه) الذي صبر على المرض في جسده ثلاثين سنة وكان يقول: «إن أحب الأشياء إلى نفسي أحبها إلى اللَّه»، ثلاثين سنة بداء البطن الاستسقاء ويأبى الكي، وينام على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد، قد نُقِب له في سرير من جريد موضع لقضاء حاجته، فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء فجعل يبكي لما يراه من حاله، فقال: لم تبكي؟ قال: لأني أراك على هذه الحالة العظيمة، قال: لا تبك، فإنّ أحبّه إلى اللَّه أحبّه إليّ، ثم قال: أحدثك حديثا لعل اللَّه أن ينفعك به واكتم عليّ حتى أموت، إن الملائكة تزورني فآنس بها، وتسلم عليّ فأسمع تسليمها، فأعلم بذلك أن هذا البلاء ليس بعقوبة، إذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة، فمن يشاهد هذا في بلائه، كيف لا يكون راضيا به!!

فأقول لمرضى المسلمين وللجرحى من أهل غزة وغيرهم: صبرًا إخوتاه فلكم في سلفنا الصالح أسوة حسنة ثم ما بالكم برجل

تسلم عليه الملائكة ويسمعها، كيف أصواتها، كيف تتوق أذنيه لسماع هذا الصوت الذي خلقه اللَّه من نور، تخيل صوت صاحبه خُلِق من نور كيف يكون جماله وأنواره! فيا لسعادة الأذن التي تسمع والروح التي تطرب والنفس التي تطمئن وهذا الموقف يذكرني بالنسوة اللاتي رأين يوسف عليه السلام - ويوسف نبي كريم من البشر- قال تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ هذا وإن كان اللَّه تعالى قال ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ فنحن لا نعقد مقارنة بين جمال البشر من بني آدم وبين جمال الملائكة، إنما فقط نلفت الانتباه إلى أن الإنسان عندما يعيش معنى عاليًا وقيمة عالية، قد ينسيه هذا آلامه وأحزانه، فما بالكم عندما يعيش العبد معنى العقيدة الصحيحة، لذلك كثير من الصحابة وغيرهم من التابعين إذا ما واجهتهم الآلام والمصاعب تجدهم يدخلون في الصلاة يعيشون معية اللَّه، مناجاة اللَّه، الأنس باللَّه، يعيشون معنى الرضا باللَّه، انظر إلى عروة بن الزبير، عندما أرادوا أن يقطعوا رجله دخل في الصلاة، فالصلاة معنى أجلّ وأعظم من سماع صوت الملائكة فالعبد في الصلاة يقف تحت ظل عرش الرحمن، يناجي ربه يتشبه بالملائكة الذين يصفون في الصفوف، يدعو ربه، يركع ويسجد ويسبح، فإذا ما عاش العبد هذه المعاني العظيمة كانت له حجابا عن الآلام بل مجلبة لجميع أنواع النعيم الروحي والنفسي والبدني وفي نطاق هذه المعاني اذكر قول النبي ﷺ من حديث حنظلة الأسيدي «**والذي نفسي بيده لو تدومون**

على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم...»[1]، ولكن هنا أتساءل كيف تكون المداومة؟ هل المقصود بها مجرد أن يقول العبد سبحان اللَّه والحمد للَّه ولا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر أم ماذا؟ يقول حنظلة: «نكون عند رسول اللَّه ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنها رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول اللَّه ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرًا» لذلك يقول: نافق حنظلة!! فالصحابة عند رسول اللَّه ﷺ يعيشون الجنة حقيقة، يعيشون النار حقيقة، يعيشون الرجاء والخوف، فكأنهم دخلوا الجنة وعانقوا الأبكار، شربوا من أنهارها واستظلوا بظلالها . . . أكلوا من أطيارها ولحومها . . . كأنهم نظروا بقلوبهم إلى ربهم . . . رأي عين . . . ثم إنهم بعد ذلك يحققون هذه المعايشة وتلك الرؤية في سلوكهم وأخلاقهم وزهدهم وجهادهم وجميع حياتهم، قال تعالى: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ لقد عاشوا الجنة، جنة الدنيا قبل جنة الآخرة، فجنة الآخرة امتداد لجنة الدنيا، لكنهم إذا عافسوا الأزواج الطاهرات والأولاد الأبرار والضيعات الحلال، تغيرت قلوبهم أو كما قال: «نافق حنظلة» فبمجرد خروجهم من عند رسول اللَّه، تغيرت القلوب أو نافقت! وهذا يذكرني بقول أنس رضي الله عنه: «لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول اللَّه ﷺ المدينة أضاء

(١) مسلم صحيح الجامع ٧٠٧٣ ، السلسلة الصحيحة ١٩٤٨.

منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وما نقضنا عن النبي ﷺ الأيدي حتى (أنكرنا قلوبنا)»[1].

سبحان اللَّه، (نافق حنظلة) ويقول أبي بكر رضي الله عنه: «إنا لنلقى مثل هذا» ثم يقول أنس رضي الله عنه (أنكرنا قلوبنا) هذا في خير القرون، وفي اليوم الذي مات فيه رسول اللَّه ﷺ فالسؤال هنا كيف حال قلوبنا اليوم؟ كيف حال قلوب من يعافس الحرام من القول والفعل؟ وهنا نقول وكيف لا ينافقون وينكرون قلوبهم وقد قال تعالى: (ويزكيهم) هذا هو الشاهد من قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة] إذا الرقي القلبي منوطٌ بالاجتماع مع أهل الحق، إذا لابد من الانتساب للعلماء العاملين والربانيين المخلصين، ومجالسة الصالحين من عباد اللَّه . . . . ولم لا وقد نبه اللَّه تعالى رسوله ﷺ بقوله تعالى ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف] أمر من اللَّه ونهي منه ﷻ للعبد المؤمن أن يحبس نفسه ويثبتها مع الصالحين وأن لا يصرف عين قلبه عنهم بسبب زينة الحياة الدنيا، فإذا ما انصرف القلب عنهم، بالطبع سيطيع أهل الغفلة لذلك قال تعالى ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ فالغافل يتبع

(١) صححه الألباني في مختصر الشمائل وهو صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

هواه وهو مسرف على نفسه عياذا باللَّه بعصيانه وغفلته، فالغفلة ذنب، فوجب على العبد المؤمن مصاحبة الأخيار من عباد الرحمن، فمصاحبتهم سبيل إلى مصاحبة الملائكة الكرام ووصولا إلى جنة الملك الجنان . . . وهكذا كانت حياة الصحابة ﷺ والصالحين، وهذا سر جناحهم وفوزهم، التفافهم حول قدوتهم ﷺ، حيًّا وميتًا إلى يوم الدين.

هذا جانب من جوانب حياة الصحابة الكرام، أردت أن أسلط الأضواء عليها تبيانا وإيضاحا لمعنى الصبر على ابتلاءات الدنيا من مرض وجهاد في سبيل اللَّه وغربة وظلم وفقر ونحو ذلك، بصحبة الكرام من بني آدم والملائكة وهذا كله من فضل اللَّه تعالى على عباده . . . فله الحمد.

إخوتاه، «إن للإيمان بيوتًا وللنفاق بيوتًا» ربما يعيش الإنسان زمانا طويلا على هامش الحياة لا يدري له هدفا ولا يعلم لنفسه وجهة مع أن الخير الذي بداخله تحتاج إليه أمة بأسرها . . . في الوقت الذي لا يعلم فيه هذا العبد قدر نفسه . . . . . فإذا جاء الموعد الذي أراده الحق جل جلاله فإن هذا الإنسان تستيقظ فطرته من سباتها العميق، وإذا به يعلم هدفه، ويحدد وجهته وينقض غبار الغفلة ليحمل أمانة هذا الدين ويعز اللَّه به الإسلام وأهله ولا يزال اللَّه تعالى يغرس لهذا الدين رجال أمناء أكفاء منهم بطل اليوم من قبيلة «مُزينة» قريبة من المدينة المنورة إنه الصحابي الجليل (النعمان

ابن مقرن) ﷺ ، لقد أراد اللَّه تعالى الخير لقبيلة مُزينة عندما فتح قلب سيدهم «النعمان» ليستقبل هذا النور وأسلم النعمان عندما سمع بأخبار النبي ﷺ وأصحابه الكرام، ويالله من أول لحظة أنعم اللَّه عليه بنعمة الهداية قام فجمع إخوانه وعشيرته وقال لهم: يا قوم واللَّه ما علمنا عن محمد إلا خيرًا ولا سمعنا من دعوته إلا مرحمة وإحسانا وعدلًا، فما بالنا نُبطئ عنه والناس إليه يسرعون؟! أما أنا فقد عزمت على أن أغدو عليه إذا أصبحت فمن شاء منكم أن يكون معي فليتجهز . . . فما إن طلع الصباح حتى وجد إخوته العشرة وأربعمائة فارس من فرسان مزينة قد جهزوا أنفسهم لسفر معه إلى يثرب للقاء النبي ﷺ وإعلان إسلامهم[1]، فلقد كان أول بيت يسلم منه أحد عشر أخًا في وقت واحد ولذلك قال ابن مسعود ﷺ: «إن للإيمان بيوتًا وللنفاق بيوتًا وإن من بيوت الإيمان بيت ابن مقرن، وأخذ النعمان يسابق الريح ليصل إلى النور ومعه الهدايا من الأغنام وغيرها لرسول اللَّه ﷺ . . . إنه النعمان الذي فنزل فيه الحق سبحانه ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة] يا له من رجل! يفتح اللَّه على يديه قلوب العباد قبل فتح البلاد، يأتي بـ ٤١٠ رجل لقد أسلموا على يديه ماذا كان علمه؟ ماذا درس؟ من أين تخرج؟ كيف كان حال قلبه مع

(١) صور من حياة الصحابة.

اللَّه؟ من الذي أعطاه تصريح الدعوة إلى اللَّه تعالى؟ وماذا قال لهم حتى يسلموا للَّه تعالى؟

إخوتاه، إنه دين اللَّه يغرس له غرسا ويفتح له قلوبًا، فأنت يا عبد اللَّه لا أقول لك كم إنسان اهتدى على يديك وأسلم للَّه؟ بل أقول ماذا قدمت لدين اللَّه؟ وهل أسلمت إسلامًا جيدًا للَّه تعالى.

ثم بعد ذلك ما كان من النعمان إلا أنه باع نفسه للَّه تعالى قدم المال والنفس في سبيل اللَّه، فكان يقاتل كالأسد في عرينه، يشق صفوف المشركين ويصيب قلوبهم بالرعب، شهد مع النبي ﷺ غزوة (الخندق) وحمل لواء مزينة في غزوة (فتح مكة) وجاهد في حروب الردة هو وإخوانه عبد اللَّه بن مقرن وسويد بن مقرن، ثم كانت (نهاوند) التي كانت ضد الفرس الذي كان يبلغ عددهم مائة وخمسين ألفا وكان عدد المسلمين ثلاثون ألفا في نهاوند قال عمر رضي الله عنه: «واللَّه لأولين أمرهم رجلًا يكون أول الأسنة إذا لقيها غدًا . . . هو النعمان بن مقرن، فقالوا: هو لها»[1].

وكتب عمر إلى النعمان رضي الله عنه: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم من عبد اللَّه عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرن ، سلام عليك فإني أحمد إليك اللَّه الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني قد بلغني أن جموعًا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند، فإذا أتاك كتابي

(١) ابن الأثير ٣١٣.

هذا فسر بأمر اللَّه، وبعون اللَّه، وبنصر اللَّه، بمن معك من المسلمين، ولا توطئهم وعرًا فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم ولا تدخلهم غيضة ، (فإن رجلًا من المسلمين أحب إليّ من مائة ألف دينار) والسلام عليك».

وأعقب قائلة: إن مقدار المؤمن عند اللَّه عظيم وأشار لذلك النبي ﷺ فعن بريدة رضي الله عنه: «**قتل المؤمن أعظم عند اللَّه من زوال الدنيا**»[1] إذًا فالمؤمن وزنه في كفة اللَّه ترجح على كفة الدنيا بأسرها لأنها ما خلقت إلا ليسخرها المؤمن في طاعة اللَّه تعالى فالدنيا بدون مؤمن يذكر ربه تعالى لا شيء ومن المعلوم أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس عندما لا يبقى على وجه الأرض من يقول لا إله إلا اللَّه تقوم الساعة، إذا بقاء الدنيا مرتبط ببقاء المؤمنين الذاكرين فهل يعلم المؤمن ذلك؟!

وهبَّ النعمان بجيشه للقاء العدو وأرسل أمامه طلائع من فرسانه لتكشف له الطريق فوجدوا أن العجم قد نثروا في الطريق إلى (نهاوند) حسك الحديد ليعوقوا الفرسان والمشاة عن الوصول إليها وهذه طبيعة الأعداء في كل زمان ومكان يعرقلون السير إلى اللَّه تعالى ويضعون الألغام الإعلامية والصحفي والتجارية والنسائية لأن النفوس مدججة بالألغام بالعقبات بالعقد في داخلهم قنابل

(١) صحيح.

عنقودية وفسفورية في داخلهم نيران لأنهم وقود النار عياذا باللَّه.

وهنا يتقدم النعمان بحيلة فالحرب خدعة والمؤمن كيس فطن فأشار النعمان عليهم بأن يوقدوا النيران في الليل ليراهم العدو وعند ذلك يتظاهرون بالخوف منه ليغروه باللحاق بهم، وإزالة ما زرعه من حسك الحديد وجازت الحيلة على الفرس فما إن رأوا جيش المسلمين تمضي منهزمة أمامهم حتى أرسلوا عمالهم فكنسوا الطرق من الحسك فكرَّ عليهم المسلمون، ودارت رحى الحرب الضروس.

أشعل النعمان رضي الله عنه: «النيران في الليل» ونحن نشعل مصابيح الدجى لقيام الليل فإن سهام الليل لا تخطئ كيف تخطئ السهام فيا لثلث الأخير من الليل والرب ﷻ يتنزل نزولا يليق به ﷻ ويقول: من يستغفرني فأغفر له من يدعوني فأستجيب له من ومن ومن... إلى أن ينشق فجر اليوم وذلك كل ليلة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ [المزمل] فمن يشعل مصباح قلبه ليقوم ويدعو اللَّه بأن يرفع عن الأمة تلك الكبوات والغفلات؟! فقيام الليل بالإضافة إلى ذلك يزيل ما زرعه الشيطان وحزبه من حسك الكفر وأشواك البدع وكلاليب الشرك ومزالق الشهوات التي هي مدحضة لبعض المسلمين للأسف الشديد!!

فالشيطان يزرع بالنهار بذور الشر فلا ينام المؤمن بل عليه بالقيام

ليكنس الطرق من الحسك وغيره.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في تلبيس إبليس (ص٤٦): واعلم أن القلب كالحصن وعلى ذلك الحصن سور وللسور أبواب وفيه ثلم وساكنه العقل والملائكة تتردد إلى ذلك الحصن وإلى جانبه ربض فيه الهوى والشياطين تخلف إلى ذلك الربض من غير مانع، والحرب قائمة بين أهل الحصن وأهل الربض والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحرس والتسور من بعض الثلم، فينبغي للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذي قد وكل بحفظه وجميع الثلم وأن لا يفتر عن الحراسة لحظة فإن العدو ما يفتر، الشيطان كما قال الحسن البصري لا ينام فلو نام لوجدنا الراحة، وهذا الحصن مستنير بالذكر مشرق بالإيمان وفيه مرآة صقيلة يتراءى فيها صور كل ما يمر به فأول ما يفعل الشيطان في الربض إكثار الدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرآة وكمال الفكر يرد الدخان وصقل الذر يجلو المرآة، وللعدو حملات فتارة يحمل فيدخل الحصن، فيكر عليه الحارس فيخرج ربما دخل فعث وربما أقام لغفلة الحارس وربما ركدت (الريح) الطاردة للدخان، فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرآة فيمر الشيطان ولا يدري به وربما جرح الحارس لغفلته وأسر واستخدم وأقيم يستنبط الحيل في موافقة الهوى ومساعدته وربما صار كالفقيه في الشر.

فلا يكن المؤمن أو المسلم أسيرًا في قيود الشيطان فللشيطان قيود

إلى جانب الحسك والشوك والكلاليب له قيود يوثق به الأسرى، وأقوى القيود الجهل وأوسطه الهوى وأضعفه الغفلة لكن ما دام درع الإيمان على المؤمن فإن نبل العدو لا يقع في مقتل.

وهذا ما فعله النعمان ﷺ أشعل النيران في الليل، اتخاذ الحيل والمكر بالعدو «تظاهرهم بالخوف» وكأن النعمان عمل لهم «كمين» أو فخ أو مصيدة لصيدهم والتنكيل بهم، ثم بعد وضع الخطة وإشعال النيران والمكر بهم، يكنس الطريق من حسك الحديد فهو يخلي الطريق، ينظفه، يطهره لتدور رحى الحرب وينقضوا عليهم انقضاض الأسد على فريسته الهوجاء، ونقول لأعداء الدين: غدًا تطئون حسك الحديد بأحداقكم في جهنم ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج].

وبعد أن حضرت الصلاة وهبت الأرواح وطاب القتال وأخذ النعمان يكبر ثلاثة ويحمل اللواء في الثالثة وما من أحد من المسلمين يومئذ يريد أن يرجع إلى أهله حتى يقتل أو ينتصر، وصبر المسلمون صبرًا جميلًا على القتال واقتتلوا بالسيوف قتالًا شديدًا من انتصاف النهار حتى هبوط الظلام وقتل من الفرس حوالي مائة ألف أو مائة وعشرة حتى أن الدم ملأ مساحة المعركة لدرجة أن الناس والدواب تنزلق فيه، فانزلق خيول المسلمين، وزلق النعمان وصرع ﷺ وفي رواية جبير أنه رُمي بسهم فقتله ورفع الراية (حذيفة بن اليمان) وكتم خبر النعمان عن الجيش لكيلا يهن الناس، في رواية معقل بن يسار

قال: فأتيت النعمان وبه رمق فغسلت وجهه فقال: من أنت؟ قلت: معقل، قال: ما صنع المسلمون؟ قلت: أبشر بفتح اللَّه ونصره قال: الحمد للَّه اكتبوا إلى عمر، وحزن عمر عليه حزنا شديدا كاد أن ينسيه فرحة النصر والفتح وكانت معركة نهاوند تسمى بـ (فتح الفتوح) ثم سأل عمر عن بقية من قتل في المعركة فأخبر أنهم لا يستطيعون معرفة وجوههم من الإصابة فبكى عمر وقال: المستضعفون من المسلمين لا يضرهم ألا يعرفهم عمر لكن الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم وما يصنعونه بمعرفة عمر بن أم عمر؟![1]

وانظر إلى النعمان وهو يسأل ما صنع المسلمون؟ ما قال حال إخواني؟ ما قال ما حال معقل؟ ما حال نعيم؟ لا إنما ما صنع المسلمون؟ وهذا يذكرني بالنبي محمد ﷺ في حديث الشفاعة بعدما أثنى على ربه تعالى بجوامع المحامد وحسن الثناء عليه فيقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه اشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي يا رب أمتي أمتي.....[2]

هذا هو الشاهد... واللَّه ما قال النبي ﷺ يا رب فاطمة يا رب خديجة يا رب عائشة يا رب صفية، إنما قال: يا رب أمتي أمتي وهكذا صحابته الكرام: ما صنع المسلمون؟ فالمسلم صاحب قضية كبرى ألا وهي قضية الدين، الإسلام يعيش لهذه القضية، فإنسان

(١) الكامل لابن الأثير٣/ ٦.
(٢) البخاري - مسلم.

بلا قضية إنسان بلا هوية، بلا هدف، إنسان ميت في شكل حي، فالحياة حياة القلب بالإسلام فالمسلم يريد تعبيد كل من على لأرض للَّه تعالى هذا هو الأساس: «لقد ابتعثنا اللَّه لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد»، هكذا قال ربعي بن عامر رضي الله عنه.

الزوج المسلم راع ومسئول عن رعيته والمسلمة راعية ومسئولة عن زوجها وأولادها، والقاضي له قضايا ومسئول عن قضاياه بالحق بالشرع، فالمسلم إخوتاه همه كبير تنوء به الجبال فحمل الأمانة ثقيل على كاهله قضية عالمية، قلبه وعقله وجسده وكل كيانه مشغول باللَّه، مشغول بالإسلام، مشغول بقضايا الإيمان، كيف يؤمن جار هذا وكيف يصلي وكيف تلتزم هذه المرأة وكيف نساعد هذا الفقير؟ وكيف وكيف وكيف؟ ليله مشغول ونهاره مسئول وقلبه شغوف على الإسلام وأهله، كيف أشبع وأخي جائعا؟ كيف ألبس وأخي عاريًا؟ كيف أتعلم وأخي جاهلًا؟ كيف أنام وطفل يئن ويشكو يتم أبويه وهدم بيته وضياع أسرته بل وبلده؟! كيف أضحك وأخي يبكي ويتجرع آلام البرد القارص والأمراض؟ كيف أقيم حفل عرس لزواجي بمئات أو بألوف الجنيهات وأخي مدين ومسكين؟ كيف أسمع أنغام الموسيقى وأخي وأختي يسمعان أصوات الانفجارات والقنابل والطائرات والصواريخ فوق رأسيهما.

هذا حال النعمان بن مقرن ما صنع المسلمون؟ وينبغي أن يكون حال كل مسلم.. والحمد للَّه رب العالمين.

وتحت ظل وارف من الظلال ألمح هناك صحابي جليل ينادينا من بطون التاريخ ليعلن عن نفسه ليعلمنا ويعلم شبابنا إنه نور على جبين الزمان نسطره ليكون قدوة لنا في أيام تاهت فيها بعض الأقدام عن الصراط المستقيم بل تاهت القلوب، إنه الصحابي الذي فر من دركات النار إلى درجات الجنة، فر من الغساق والصديد والمهل والحميم إلى التسنيم، فر من السموم والزمهرير إلى ريح الجنة، فر من أدرية جهنم إلى حوض النبي محمد ﷺ فر من طين الخبال والغسلين إلى الرحيق المختوم، فر من سجن بولس إلى ملك كبير يرى من مسيرة ألفي عام، فر من سلاسل وأغلال في النار إلى جنة عرضها السموات والأرض فر من سرابيل القطران إلى ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ . . . فر من مهاد جهنم وغواش جهنم إلى أرائك الجنة وفرش الجنة فر من زفير جهنم إلى همس الجنة . . . فر من مقامع الحديد وسوء التهديد إلى ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد] فر من قعر الجحيم إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فر ونفر معه بإذن ربه من دارا ضيقة الأرجاء مظلمة المساك مبهمة المهالك يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك، قد شدت أقدامهم إلى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من أكنافها ويصيحون في نواحيها وأطرافها يا مالك قد أثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك أخرجنا منها فإنا

لا نعود، فتقول الزبانية لا خروج لكم من دار الهوان فاخسئوا فيها ولا تكلمون لا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف طعامهم نار شرابهم نار مهادهم نار سرابيلهم من قطران يضربون بالمقامع ويقيدون بالسلاسل يكبكبوا في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويتيهون بين غواشيها تغلي بهم النار كغلي القدور يهتفون بالويل والعويل دعواهم فيها الثبور يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود لهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فينفجر الصديد من أفواههم وتنقطع من العطش أكبادهم وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها وتنسل من الأطراف شعورها وجلودها كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودًا غيرها قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الروح بالعروق وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون قد أعميت أبصارهم وأبكمت ألسنتهم وقصمت ظهورهم وجدعت أنوفهم وكسرت عظامهم ومزقت جلودهم وغلت أيديهم إلى أعناقهم وجمع بين نواصيهم وأقدامهم، وهم يمشون على النار بوجوههم ويطئون حسك الحديد بأحداقهم فلهيب النار سار في بواطن أجزائها وحيات الهاوية وعقاربها تهشم أعضائهم! لذلك كله عباد اللَّه، قال لنا اللَّه تعالى ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ يا لها من رحلة تدمي القلوب والعيون عياذًا باللَّه، أجارنا اللَّه وإياكم منها، إن موعدنا اليوم مع سفير قريش في صلح الحديبية إنه (سهيل بن عمرو) وقع أسيرًا في يوم بدر وأراد أن يفدي نفسه بالمال فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول اللَّه ﷺ دعني أنزع ثنيتي سهيل فلا يقوم

علينا خطيبا، فقال نبي الرحمة ﷺ: دعها فلعلها تسرك يوما، وسبحان اللَّه يوم أن مات النبي ﷺ كان موقفه يعدل موقف أبي بكر رضي الله عنه قال سهيل: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد اللَّه فإن اللَّه حي لا يموت، أسلم في فتح مكة وأعطاه رسول اللَّه ﷺ مائة من الإبل من غنائم حنين وكان كثير الصوم والصلاة والصدقة والبكاء، وكان معاذ بن جبل يقرئه القرآن فقال له ضرار بن الخطاب: يا أبا يزيد تختلف إلى هذا الخزرجي يقرئك القرآن؟ ألا يكون اختلافك إلى رجل من قومك من قريش؟ قال يا ضرار: هذا الذي صنع بنا ما صنع حتى سبقنا كل السبق أي لعمري أختلف إليه، لقد وضع الإسلام أمر الجاهلية، ورفع اللَّه بالإسلام قومًا كانوا لا يذكرون فليتنا كنا مع أولئك فتقدمنا.

يا لها من كلمات، نقولها لنعرات جاهلية اليوم لكل من ينعق وراء الشرق أو الغرب كم هي أنواع الجاهلية اليوم وكيف تتغلغل في المجتمعات والأفراد...؟! وإلى أين تمضي بهم هذه الجاهلية التي هي أمر من الجاهلية الأولى؟ كيف أنهم يحاربون من أجلها؟ يريقون دماءً من أجلها؟! يتمزقون ويتفرقون ويتطاحنون ويتناطحون من أجلها جاهلية في السلوك في الأخلاق جاهلية في العلم جاهلية العلاقات جاهلية في الحروب جاهلية في العلوم والاقتصاد جاهلية في السياسات والإعلام ولقد نبذ اللَّه الجاهلية وحقَّر من شأنها وكذلك رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ

يُوقِنُونَ﴾ [المائدة] ولقد وضع رسول اللَّه ﷺ كل أمر الجاهلية تحت قدمه وبدأ بعشيرته الأقربين وها نحن نسمع سهيل بن عمرو يصرح بأن الجاهلية كانت سببًا في تأخره عن الذين سبقوا إلى اللَّه تعالى.

وحضر ذات يوم الحارث وبلال رضي الله عنهما باب عمر رضي الله عنه فأذن لهما وأبو سفيان يقف لا ينتبه إليه أحد فنظر إليه سهيل بن عمرو فوجده غاضبًا فقال: أيها القوم إني واللَّه لقد أرى الذي في وجوهكم، إن كنتم غضابًا فاغضبوا على أنفسكم، دعي القوم ودعيتم فأسرعوا وأبطأتم فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم؟!.. قال الحسن: وصدق واللَّه سهيل لا يجمع اللَّه عبدًا أسرع إليه كعبد أبطأ عنه.

وهنا أذكر حديث النبي ﷺ في البخاري: «**إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي و ميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلا فقال: اسمع سمعت أذنك واعقل عقل قلبك إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتًا ثم جعل فيها مائدة ثم بعث رسولًا يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه فاللَّه هو الملك والدار الإسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد رسول من أجابك دخل الإسلام و من دخل الإسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل ما فيها**»[1]، وانظر إلى موضع الملكين لتعرف وظيفتيهما وانظر إلى دعاء الملائكة، فأول مراتب العلم السماع ثم الفهم وفقه العقل في القلب، ثم إن

(١) صحيح الجامع ٢٤٦٥.

الملائكة تضرب الأمثلة لأن المثال يقرب الصورة للذهن والفهم للقلب وانظر إلى مائدة الإسلام والمائدة التي طلبها الحواريون من عيسى عليه السلام لتعرف فضل هذه الأمة وأن من أول فات المتقين فيها الإيمان بالغيب ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ لكن الحواريون ماذا قالوا؟ قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة].

فيا سعادة من لبى نداء اللَّه ودخل في الإسلام فالجنة تشتاق إليه تزهو به تقترب منه تتزين له ويسعد فيها برؤية الأحبة محمدًا وأصحابه ﷺ وبرؤية اللَّه ﷻ وانظر إلى حكمته يقول سهيل: واللَّه لا أدع موقفًا وقفته مع المشركين إلا وقفت مع المسلمين مثله، ولا نفقة أنفقتها مع المشركين إلا أنفقت على المسلمين مثلها لعل أمري أن يتلو بعضه بعضًا.

رابط سهيل في طاعون عمواس ومات شهيدًا بإذن اللَّه قال ﷺ: «**الطاعون شهادة لكل مسلم**»[1]، فرضي اللَّه عن سهيل بن عمرو.

ثم نحن نرى رجلًا مجاهدًا عابدًا، رجل تتجسد فيه عزة المؤمن وصلابته وثباته هو رجل عقيدة لا تؤثر فيه الأعاصير ولا تزعزعها

(١) البخاري ومسلم- صحيح الجامع ٣٩٤٧.

الفتن والبلايا فهو يعلم من أعماق قلبه أن كل عذاب دون النار عافية وأن كل نعيم دون الجنة سراب، إنه (عبد اللَّه بن حذافة) رضي الله عنه.

فعن أبي رافع قال: وجه عمر جيشًا إلى الروم فأسروا عبد اللَّه ابن حذافة فذهبوا به إلى ملكهم فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد فقال: هل لك أن تتنصر وأعطيك نصف ملكي؟ قال: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملك العجم وجميع ملك العرب ما رجعت عن دين محمد طرفة عين، قال: إذًا أقتلك قال: أنت وذاك فأمر به فصُلب وقال للرماة: ارموه قريبا من بدنه وهو يعرض عليه ويأبى فأنزله ودعا بقدر فصب فيها الماء حتى احترقت ودعا بأسيرين من المسلمين فأمر بأحدهما فألقي فيها وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى ثم بكى فقيل للملك: إنه بكى فظن أنه جزع فقال: ردوه ما أبكاك؟ قال: قلت: هي نفس واحدة تلقى الساعة فتذهب فكنت أشتهى أن يكون بعدد شعري أنفس تلقى في النار في اللَّه فقال له الطاغية: هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك؟ فقال له عبد اللَّه: وعن جميع الأسارى؟ قال: نعم فقبل رأسه.

وفي رواية: ثم جعلوا في بيت معه الخمر ولحم الخنزير ثلاثًا لا يأكل فاطلعوا عليه فقالوا للملك: قد انثنى عنقه، فإن أخرجته وإلا مات وقال: ما منعك أن تأكل وتشرب؟ قال: أما إن الضرورة كانت قد أحلتها لي ولكن كرهت أن أشمتك في الإسلام. وفي رواية ابن عائذ: أن الملك أطلق له ثلاث مائة أسير، وأجازه بثلاثين

ألف دينار وثلاثين وصيفة وثلاثين وصيفًا قالوا: إن هذا الملك كان يختبر شدتهم في دينهم!

حقيقة!

يعجز اللسان وينعقد عن وصف مثل هذه النماذج الغنية باللَّه، إنها العقيدة التي عقدت في القلب عقدا وتشعبت في أواصل الجسد وصبغت الأوصال بصبغة الإيمان، إنها العقيدة التي هي أرسخ من الجبال الراسيات، يا له من قلب حينما يتحمل هذه الأمانة ويحملها بإذن ربه هذه الأمانة إن حملت بصدق للَّه تعالى تحول الإنسان تحولا جذريا، تحول بلا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه ﷺ هذه الكلمة العظيمة المعجزة تحول كيان الإنسان حقا ولا يعلم هذه الحقيقة إلا الذي كان كافرًا وانتقل إلى الإسلام عندما ينطقها يشعر مع كل حرف وكأنه ينقل ويشد جبال الدنيا الراسيات من مكانها يزحزحها.

فتركيبة المؤمن غير تركيبة الكافر تماما وليس المقصود أصل الخلقة فأصل الخلقة واحد خلق الإنسان من تراب لكن الإيمان باللَّه تعالى يحول هذا التراب إلى إنسان متحرك نحو الأعالي يسمو بروحه إلى اللَّه تعالى ينفعل له الكون ويتفاعل معه وينسجم لأنه يوحد اللَّه تعالى، أما الكافر تراه طينة مظلمة خاوية على عروشها خواء، تراه ما قال تعالى ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم] فارغ القلب والقالب لا يحمل شيء لا يرى إلا مكان قدمه فقط ينظر إلى

الأسافل من الأمور ليس له هدف في الحياة سوى متاع الحياة الدنيا الزائل فهذه التركيبة بهذا الشكل عندما تصطدم بإنسان ذو عقيدة راسخة حديدية فولاذية صلبة التكوين لا تنثني البتة أمام متاع الدنيا لا تركع ولا تخضع لطواغيت الدنيا وإن مُزقت وقُطعت وحُرقت وجُوعت وعُطشت ترى الكافر يتزلزل يندهش يصرع يفكر ما هذا الصنف العجيب من البشر؟! لماذا هذا الإصرار على عقيدته وما تلك العقيدة التي تستحق كل هذه التضحيات تستحق أن يموت الإنسان وهو فرح مسرور تستبشر بل يسعى إلى الموت حثيثًا كما رأينا مع الصحابة الكرام تراه يريد أن يعرف السر سر هذا الإصرار والثبات والصبر والمصابرة والرباط وكثيرًا من البشر يسلم عندما يرى صمود المسلم وثباته كمثل هذا الرومي الذي ساوم عبد اللَّه بن حذافة يقولون أنه أسلم في الخفاء والدليل أنه أكرم عبد اللَّه وأعطاه وأعطاه واللَّه أعلم فهو معجب جدًّا به، نموذج فريد وكأن في خياله أسطورة رائعة معقول أن يكون هناك إنسان يفعل هذا؟! إنه ضرب من الخيال!! ونقول له لا إنما هو الإيمان عندما يلامس شغاف القلوب المسلمة فالإيمان باللَّه يصنع الأعاجيب!

كيف برجل جسده في الأرض وروحه تحت العرش ماذا تنتظر منه كيف يفعل وماذا يقول وما هي أمانيه وكيف فرحة قلبه وسعادة روحه واشتياق فؤاده غدًا ألقى الأحبة محمدًا وصحبه، كيف لك بهذا الإنسان، إنه يعيش معاني النعيم في الجنة وكأنها رأي عين

الناس يرونه بينهم ولكنه يعيش الجنة بكل كيانه أصله في الأرض وفرعه في السماء مثله مثل الرجل الذي وصفه لنا رسول اللَّه ﷺ في حديثه الشريف: «**من خير معاش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل اللَّه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار على متنه يبتغي القتل أو الموت مظانه...**» هكذا يكون المسلم في الدنيا متأهب مستعد جاهز دائمًا بقوله وبفعله للقاء اللَّه تعالى ولا ينسى العبد أنه مملوك ممتحن في صورة مالك متصرف فأنت مملوك حكيم.

وأقول: لأجل عقيدة الإيمان باللَّه وحده لا شريك له تهون كل الآلام وتفتقر الأرض كلها ومن عليها للعطاء لأنها لا تساوي عند اللَّه جناح بعوضة وصاحب هذه العقيدة يحب بحب اللَّه ويبغض ببغض اللَّه فكيف يكون حبه وبغضه وعطائه ومنعه؟! ثم إن حرارة العقيدة في قلب المؤمن تغطي وتأتي على كل برودة الدنيا بما فيها من آلام النفس حيث آلام الجوع والعطش والشهوة وقتل النفس وفقد الولد والأحبة وجميع أنواع المخاوف والغربة وآلام الحر والبرد فحرارة العقيدة في القلب تفوق كل معاني الإغراء ومخاوف البشر.

إخوتاه، لقد فعل عبد اللَّه بن حذافة فعلًا عظيمًا تفتقده الأمة في هذه السنوات الخداعة وهو تمسك الإنسان بأخيه المسلم فالصحابي كان لا يفرط في أخيه المسلم، كان بجواره يسانده

يعطيه يشاركه ينصحه يدله يعلمه يأخذ بيده ينصره يحميه يبذل له يأويه يدافع عنه يحرم نفسه ليرضيه يعفو عنه ويواسيه يبكي عليه إن فقده يفرح لفرحه ويحزن لحزنه ويؤثره على نفسه، يسافر الأميال لينقل له نور الإسلام، يخلفه في أهله وماله إن غاب حتى إنهم قالوا إني لأضع اللقمة في فم أخي فاستشعر لذتها في فمي وكان الرجل يخلف أخاه في أهله عشرون عامًا ولا يتضجر كانوا جسدًا واحدًا حيًّا لقد طبقوا آيات اللَّه ترجموا القرآن إلى أعمال وسلوك وأخلاق فكانوا قرآنا مترجمًا عبر الأزمنة لقد ترجموا قول الحق ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران] فعبد اللَّه بن حذافة عندما أراد ملك الروم أن يطلق سراحه واشترط قبل عبد اللَّه شرطه على أن (يخلي سبيل إخوانه الأسرى) هذا هو الشاهد الذي أردت أن أجليه وأوضحه وأسلط الأضواء عليه هذا الذي نفقده في كل يوم، فبالأمس كان عبد اللَّه يقدم إخوانه على نفسه لأن أنفسهم جميعًا نفسا واحدة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء] لكن إنسان اليوم نفسه تحمل «الأنا» تحمل إعجاب كل ذي رأي برأيه فإنسان اليوم إلا من رحم اللَّه إنسان مهلهل داخليًّا بمعنى نفسي مصلحتي دنياي هواي أولادي كيف أطعمهم من حلال من حرام المهم أطعمهم.

إنسان مشتت ممزق منزوي على نفسه يقطع رحمه يخسر أخيه

بيعه بثمن بخس دراهم معدودة، يهون من شأنه يدفع إليه الأذى يضمر في نفسه أشياء ويظهر أشياء يؤثر نفسه على أخيه إلى غير ذلك من السوءات والسلبيات التي أوصلت الأمة لما نحن عليه الآن من الهوان، وما أحداث غزة منا ببعيد، بالأمس كان إخواننا تمزق أجسادهم وتقطع أوصالهم وتجدع أنوفهم وتتطاير أشلاؤهم وتسيل دماؤهم ويتيم أولادهم وتسبى وتغتصب نساؤهم وكأن الدنيا خلت من سكانها المسلمون!! ولا حول ولا قوة إلا باللَّه فكانت غزة وغيرها ومازالت وكأنها قطعة لحم حي في جسد ميت وإنا للَّه وإنا إليه راجعون أين إخوة الإسلام أين المحبة في اللَّه أين جسد الأمة الواحد.

أين هيبة ورهبة الأمة في قلوب أعدائها؟!

موضوع كبير وله شجون نسأل اللَّه العظيم أن يمكن لأمتنا كل أسباب الخير والنصر والتمكين بالعودة إليه سبحانه.

عبد اللَّه، لا تشمت بنا الأعداء، والتحم بأخيك المسلم صل قلبك باللَّه ليصلك بأخيك وأختك ليصلك بأمك وأبيك وزوجك وولدك فما الأمة إلا أفراد ومجتمعات فاللَّه اللَّه في نبذ الفرقة وهلموا عباد اللَّه للاجتماع على اللَّه تعالى تمسكوا بحبله المتين واعتصموا به.

ولذلك مسيح الضلالة يخرج في زمان اختلاف من الناس

وفرقة. . .[١]

وأقول: إن ملة الكفر واحدة فالعدو دائمًا يتحين الفرص ويمكر ويتحسس مدى قوة الأمة وتمسكها بدينها يحس بنبض الأمة يقيس درجة حرارة إيمانها بربها من خلال سلوكها وأخلاقها وتعليمها واقتصادها و.

ثم يضع لها العراقيل والألغام والحسك والشوك والكلاليب، وتمضي الأمة على هذه العراقيل إلا من رحم اللَّه وكأن الأمر لا يعنيها وهذا من أثر بعدها عن اللَّه تعالى، فعبد اللَّه بن حذافة رغم احتياجه للمأكل والمشرب ورغم انحناء عنقه من شدة الإعياء لكنه لم يرد أن يشمت الأعداء فيه ولا في إسلامه إنه رد الذي أباحه الشرع له في الضرورة فكيف الذين يبحثون عن الحرام ليوقعوا فيه أخوانهم الذين هم من بني جلدتهم؟!

إن عبد اللَّه بن حذافة رجل يشق غبار الزمن في سبيل قضيته «قضية التوحيد» رجل واحد قدم نفسه لهذه المهمة وإنها لغزوة والمسلم لابد له أن يعي أن حياته كلها غزوات يخرج من غزوة ليدخل في أخرى وهكذا في كل حياته، حياته غزوات ولكن الغزوة تحتاج لقلب ولقد كان قلب عبد اللَّه لا يخاف إلا اللَّه تعالى، إنسان اليوم إلا من رحم اللَّه كتلة من الخوف قلبه غالبا يكون مرتجف يخاف كل شيء يخاف المرض يخاف العدو يخاف الألم يخاف

(١) حديث صحيح.

الجوع والظمأ يخاف الجهاد يخاف ويخاف.

ويحب البقاء في الدنيا يحرص على هذا كل الحرص، لكن انظر إلى قلب أبي بكر ﷺ وهو يحيط برسول اللَّه ﷺ رغم المخاطر التي تقابله من كل جانب انظر إليه في هجرته من مكة إلى المدينة كان قلبه كالفارس الذي ينتفض من أن أول هيعة وفزعة فالقلب له جند تتيقظ حين يستلزم الأمر.

وانظر إلى دور ولي الأمر عمر ﷺ لقد كان دوره دور المنصف لمن قدم نفسه للَّه وتأذى في سمعه بسماع أصوات المعذبين ولكن أذنه أبت أن تكون بابا لتصدير الخوف إلى قلبه لقد أغلق باب الخوف إلى قلبه تأذى في بصره حيث مشاهد المعذبين يفتنون أمامه فأبت عينيه أن تكون بابًا لإرسال الخوف إلى قلبه وكذلك بقية حواسه، وهذا يذكرنا بالصحابي الذي كان يقول له مسيلمة الكذاب أنا رسول اللَّه فيقول له: لا أسمع وإذا قال له محمد رسول اللَّه يقول نعم أسمع.

وكأنه أغلق باب الحصن لسمعه وكذلك جوع لإبراهيم أسدين ثم أرسلا عليه فجعلا يلحسانه ويسجدان له![1] فإبراهيم أغلق على نفسه باب الخوف إلا من اللَّه تعالى هو لا يخشى إلا اللَّه هذا هو التوحيد للَّه تعالى إذًا فالولي ولي الأمر أمير المؤمنين لم يكفر القضية، لم يدخن حولها ويشوش بل يقبل رأسه ويقول: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد اللَّه، وهكذا تربى الشعوب، وهكذا

(١) أبو نعيم في الحلية ١/ ٢٠٦.

يوقر الجندي المسلم ويكون رمزا وقدوة حسنة لمجتمعه فولي الأمر يربي فيهم القيم والمبادئ السامية إذا فالعصر أمانة في رقبة كل ولي أمر فالزمن رهينة في رقبته هو مسئول عن الرعية في كل شئونهم فهو يحمل الزمن كاملًا على كاهله فلابد من العلاقة بين ولي الأمر وبين الرعية.

وأقول: إن عمر رضي الله عنه لا يفعل ذلك إلا لكونه منصفًا صادقًا مع اللَّه أولا . . . فأين الصدق؟!

أليس الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة؟! فالصدق ينفذ من قلب الصادق إلى قلب من أمامه كنفاذ الجنة في خلودها أبد الدهر فالصدق من عناصر الجنة والجنة خالدة إذا فالصدق يخلد ذكرى العبد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم] وقال تعالى﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر].

وأقول: إن العدو دائما يهتم بعدده وعدته فهي رأس ماله، فلا عقيدة له فهو يفكر بعقل الدنيا الذي لا يرى إلا العدة والعتاد والعدد لذلك العدو يقاتل ويخرب الديار على أسير واحد ومقتول واحد، لماذا؟ لأنه ليس له غير عدده، ليس له عقيدة سليمة يقاتل من أجلها لكن المسلم لا يأبه بكثير عدة وعدد لا يأبه بكثرة القتلى في صفوفه لأنه يعلم علم اليقين، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة] إن المسلم يصول ويجول باللَّه فالعدو

يحارب ويريد العلو في الأرض بعدته وعتاده وعدده ووسائل تعذيبه وإعلامه أما المسلم فلا تخوفه تلك الوسائل فترى عبد اللَّه بن حذافة لا يرهبه من عذب أمامه وحرق لا ترهبه الكلمات لا يرهبه الوعيد لا يرهبه الجوع وحبس والقيد لأنه يقاتل عن عقيدة، لذلك تجد أن الرجال هو ثمرة عقيدة اليهود الفاسدة العمياء العرجاء الشوهاء فتجد مسيخهم الدجال أعور قال ﷺ: «**ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور**»[١] فالمسيح هذا شكله يدل على عقيدته وعقيدة من يعتقد فيه من اليهود وغيرهم فهو كما أخبر ﷺ: «**كأن رأسه أصلة**»[٢] أي أن رأسه كبيرة كرأس الحية شعره كما أخبر ﷺ: «...**جفال الشعر**»[٣] أي أن شعره كثيف ملتف وشعره جعد يعني صغير ملتف وكأنه أغصان شجرة شعره قطط أي شعره شديد الجعودة أرأيت التعقيدات واللفائف حتى في شعره، فالشعر في لغة المنامات له تأويلات فشعر مثل هذا يدل على مدى فكره وعقيدته الماكرة الفاسدة شع ينبت من رأس ودماغ خبيثة!! وهو «رجل جسيم»[٤] وهو «قصير أفحج»[٥] أي قصير منفرج الساقين.

(١) البخاري٧١٣١- مسلم٢٩٣٣.
(٢) السلسلة الصحيحة ٩٣/ ١.
(٣) صحيح رواه مسلم ٢٩٣٤.
(٤) مسلم١٧١.
(٥) صحيح الجامع٢٤٥٩.

«. . . أجلى» أي عريض الجبهة[١].

«. . . عريض النحر» يعني عريض الرقبة والصدر[٢].

«لحيته قائمة» طويلة مسترسلة، «طويل الذراعين وفيه دمامة» لونه أسمر وفيه حمرة ما بين عينيه مكتوب ك-ف-ر يقرؤه كل مسلم. . . فأنا أصفه لكم كما وصفه رسول اللَّه ﷺ لتتعرفوا من خلال أوصافه عقيدته.

وكما أن المؤمن يرى الأدلة والغيب ببصيرته ولا يراها الكافر كذلك يخلق اللَّه للمؤمن الإدراك دون تعلم يعني وإن لم يكن يكتب أو يقرأ وكلك الكافر لا يراه ولو كان يعرف القراءة والكتابة لذلك المؤمن يرى باللَّه «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» وهذا ما كان في قصة عبد اللَّه بن حذافة فكان الرجل يرى باللَّه ويسمع باللَّه «والدجال ممسوح العين»[٣] وصوته يخرج من الأنف وفي الحديث «صوته أبح» أي فيه خشونة وغلظة هذه بعض أوصافه.

وانظر في الجانب الآخر: «ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك. . .»[٤] هذا الشاب لا يزداد في الدجال إلا يقينا بأنه

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٢٩١.
(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٢٩١.
(٣) صحيح رواه مسلم٢٩٣٣.
(٤) صحيح.

الدجال الكاذب.

فترى أن الموت ما أثر في الشاب وهو أبلغ شيء قام مقبلا غير مدبر يتهلل وجهه ويضحك لا يأبه بشيء سوى يقينه في اللَّه تعالى.

وهذا يذكرنا بأهلنا وأحبابنا في غزة العِزة والكرامة فالموت لم يؤثر فيهم بل زادهم عددا ونصرا وجمالا وبهاءً ففي شهر واحد ولد له خمسة آلاف طفل مات ألف وخمسمائة وولد خمسة آلاف وهكذا عطاء اللَّه الوهاب... إنهم أهل غزة ولقد اعترف العالم كله بقضيتهم بعد أن كانت قضية مهملة في سلة التاريخ!!

فعمر ﷺ قبل رأس عبد اللَّه بن حذافة الذي نصر دين اللَّه وقدم نفسه فداء للَّه ولعقيدته، كان رمزا للعطاء كان ينبوعا يفيض بحب إخوانه في اللَّه فماذا يا ترى دورنا نحن تجاه أهل غزة هل نحملهم على أعناقنا؟ هل نقبل رؤوسهم؟ هل نسخر لهم أموالنا؟ ماذا نفعل لأناس أحيوا بإذن اللَّه روح الجهاد فينا؟ ما الشيء الذي يوفيهم حقوقهم عندنا؟ فالذي لا يشكر الناس لا يشكر اللَّه.

عباد اللَّه، حق على كل مسلم أن يدعو لهم آناء الليل وأطراف النهار فهم الطائفة المنصورة بإذن اللَّه نسأل اللَّه أن لا يحرمنا أجرهم لا يفتنا بعدهم ويجعل قتلاهم شهداء عند مليك مقتدر وأن يرزقنا شهادة ترضيه عنا.

❊ ❊ ❊

الفهرس

أمة مرحومة ٦
صدق وعدل ١٤
صبر واحتساب ٣١
شجاعة الفرسان ٤١
فتح ونصر ٥٤
زحف العصر ٨٥
ثُمامة وعُبادة ١٢٩
التربية ١٤١
التربية ١٥٥
عزة المسلم ١٦٠
الفهرس ١٩١

* * *

من إصدارات المؤلف

سلسلة

شذا الريحان في تفسير القرآن

صدر منها

تفسير سورة الملك

تفسير سورة الشمس

ترقبوا الإصدار ت الجديدة

الجسر الآمن

طريق إلي الجنة

طريق الحكمة

* * *